

مجلة تنكرية

عدد: 218
شهر آب 2025



المسيح

Φ Ω Σ



يسوع المسيح
الغالب

نور

ΧΡΙΣΤΟΥ



جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org



دير باندليمون للروس الأرثوذكس، جبل آثوس

Ιερά Μονή Αγίου Παντελεήμονος των Ρώσων – Άγιον Όρος



يُعَدّ الدير للقديس استيفانوس في السابع والعشرين من كانون الأوّل (بحسب
التقويم الشرقي)، الموافق للتاسع من كانون الثاني (بحسب التقويم الغربي).



رسالة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة كيريلوس كيريوس ثيوفيلوس

بمناسبة عيد القديس
الذي إيليا التسميتي

— ٢٠ تموز شرقي، الموافق ٢ آب غربي لعام ٢٠٢٤ —

إيليا التَّشْيِي، الَّذِي أَصْعَى إِلَى صَوْتِ الرَّبِّ عِنْدَمَا قَالَ لَهُ: «اخْرُجْ وَقِفْ عَلَى الْجَبَلِ أَمَامَ الرَّبِّ. وَإِذَا بِالرَّبِّ عَابِرٌ وَرِيحٌ عَظِيمَةٌ وَشَدِيدَةٌ قَدْ شَقَّتِ الْجِبَالَ وَكَسَرَتِ الصُّخُورَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الرِّيحِ. وَبَعْدَ الرِّيحِ زَلْزَلَةٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الزَّلْزَلَةِ. وَبَعْدَ الزَّلْزَلَةِ نَارٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي النَّارِ. وَبَعْدَ النَّارِ صَوْتُ نَسِيمٍ لَطِيفٍ وَهَنَكَ كَانَ الرَّبُّ. فَلَمَّا سَمِعَ إِيلِيَّا لَفَّ وَجْهَهُ بِرِدَائِهِ وَخَرَجَ وَوَقَفَ فِي بَابِ الْمَعَارَةِ» (٣ملوك ١٩: ١١-١٣).

نَرَى هَهُنَا، أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْأَحِبَّاءُ، طَرِيقَ ظُهُورِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ طَرِيقَ اسْتِجَابَتِهِ لِرَجُلِهِ الْبَارِّ وَالْأَمِينِ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى نَرَى طَرِيقَةَ تَعَامُلِ النَّبِيِّ إِيلِيَّا، الرَّجُلِ الْبَارِّ، مَعَ اللَّهِ، إِذْ مِنْ خَوْفِهِ وَاحْتِرَامِهِ لَهُ، عَطَى وَجْهَهُ وَلَقَّه بِرِدَائِهِ. أَمَّا صَوْتُ النَّسِيمِ اللَّطِيفِ، فَإِنَّهُ يُشَكِّلُ رَمْزًا وَعَلَامَةً لِمَحَبَّةِ اللَّهِ اللَّامُتَنَاهِيَةِ، الَّذِي لَا يُرِيدُ أَنْ يَنْتَصِرَ الشَّرُّ، وَلَا يَشَاءَ مَوْتَ الْخَاطِئِ، بَلْ أَنْ يَتُوبَ. لِأَنَّ الرَّبَّ يَقُولُ: «لَمْ آتْ لَأَدْعُو أَبْرَارًا، بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ» (لوقا ٥: ٣٢). وَيُفَسِّرُ هَذَا الْقَوْلَ الْقُدِّيسُ يُوْحَنَّا الدَّهْيُيُّ الْقَمُّ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ الْمَسِيحَ يَغْنِي هُنَا: لَمْ آتْ لِكَيْ يَسْتَمِرُّوا خُطَاةً، بَلْ لِكَيْ يَتَبَدَّلُوا وَيَتَصَلَّحُوا».

وَرَبَّمَا يَتَسَاءَلُ أَحَدٌ قَائِلًا: مَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ الْبَارُّ؟ فَإِنَّ صَاحِبَ الْمَزْمُورِ يُجِيبُ عَلَى هَذَا التَّسْأُولِ قَائِلًا: «هُوَ السَّالِكُ بِلاَ عَيْبٍ، وَالْعَامِلُ الصِّدْقَ، الْمُتَكَلِّمُ الْحَقَّ فِي قَلْبِهِ، الَّذِي لَمْ يَغْشَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَصْنَعْ بِقَرْبِهِ شَرًّا، وَلَمْ يَقْبَلِ الْعَارَ عَلَى أَقَارِبِهِ» (مزمو ١٤: ٢-٣).

وَبِكَلَامٍ آخَرَ، إِنَّ الْبَارَّ هُوَ الْفَاعِلُ وَالْعَامِلُ بِكُلِّ وَصَايَا اللَّهِ. وَكَمَا يَقُولُ الْقُدِّيسُ بَاسِيلْيُوسُ الْكَبِيرُ: «فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ أَعْمَالَ الْبَرِّ وَالْعَدْلِ فَقَطْ، بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَقُومَ بِهَا بِرَغْبَةٍ وَحُبَّةٍ لِلْبَرِّ وَالْعَدْلِ»، كَمَا يَقُولُ سِمْوُنُ التَّثْنِيَّة: «الْعَدْلُ، الْعَدْلُ تَتَّبِعْ» (تثنية ١٦: ٢٠). وَأَمَّا الْقُدِّيسُ كِيرِيلُوسُ الْإِسْكَنْدَرِي، فَيَقُولُ: «هَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَسِيرَ وَيَسْتَلِكُ الْإِنْسَانُ فِي الْحَيَاةِ، حَتَّى لَا يُسْتَهْزَأَ بِهِ وَيُعَيَّرَ، وَلَا أَنْ يَسْتَهْزِئَ هُوَ بِالْآخَرِينَ وَيُعَيِّرَهُمْ».

يقول القديس يعقوب أخو الرب: «كَانَ إِيلِيَّا إِنْسَانًا تَحْتَ الْآلَامِ مِثْلَنَا، وَصَلَّى صَلَاةً أَنْ لَا تُمَطَّرَ، فَلَمْ تُمَطَّرْ عَلَى الْأَرْضِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ صَلَّى أَيْضًا، فَأَعْطَتِ السَّمَاءُ مَطَرًا، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ ثَمَرَهَا.» (يعقوب ٥: ١٦-١٧)

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح ،
أيها المسيحيون الأتقياء .

إِنَّ نِعْمَةَ النَّبِيِّ الْقُدِّيسِ إِيلِيَّا التَّشْيِي قَدْ جَمَعْنَا الْيَوْمَ هَهُنَا، فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُقَدَّسِ، لِنُعِيدَ بِشُكْرِ تَذْكَارِ صُغُودِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ فِي مَرْكَبَةِ نَارِيَّةٍ.

وَبِحَسَبِ كَاتِبِ سِيرَتِهِ، فَإِنَّ الْمَجِيدَ إِيلِيَّا قَدْ تَنَبَّأَ قُرَابَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَسَبَقَ مَجِيءَ الْمَسِيحِ بِشَمَانِيَّةٍ وَسِتَّةَ عَشْرَةَ سَنَةً. فَقَدْ أَنْزَلَ إِيلِيَّا نَارًا مِنَ السَّمَاءِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَمَنَعَ الْمَطَرَ عَنِ الْأَرْضِ بِكَلِمَةٍ فِيهِ، وَأَقَامَ الْأَمْوَاتَ، وَأَحْرَقَ جُنْدًا مِمَّنْ كَانُوا خَمْسِينَ فَخَمْسِينَ، وَعَايَنَ اللَّهُ عَلَى جَبَلِ حُورَيْبَ عَلَى قَدَرٍ مَا يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ أَنْ يُعَايَنَ اللَّهَ، وَشَقَّ نَهْرَ الْأُرْدُنِّ بِرِدَائِهِ، وَصَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ فِي مَرْكَبَةِ نَارِيَّةٍ، وَكَانَ وَاقِفًا مَعَ مُوسَى عِنْدَ بَحْلِيِّ الْمَسِيحِ عَلَى جَبَلِ ثَابُورَ.

وَأَيْضًا، وَفَقًا لِشَهَادَةِ الْإِنْجِيلِيِّينَ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ قَدْ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ لِيَخْدِمُوا مَخْطُطَ تَدْبِيرِهِ الْإِلَهِيِّ، الَّذِي هُوَ سِرُّ الْخَلَاصِ الْعَظِيمِ لِلْإِنْسَانِ. وَقَدْ صَارَ خَادِمًا لِهَذَا الْمَخْطُطِ الْإِلَهِيِّ، النَّبِيُّ إِيلِيَّا، الَّذِي تَمَيَّزَ بِغَيْرَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُتَّقَدَةِ، وَبِرَّهِ وَعَدْلِهِ.

لِذَلِكَ، فَإِنَّ الْقُدِّيسَ يَعْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ، يَذْكُرُ قُوَّةَ الصَّلَاةِ الْمُنْبِيَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَالْمُتَمِمَّةِ بِهِ، مُقَدِّمًا مَثَالًا عَلَى ذَلِكَ النَّبِيِّ إِيلِيَّا، الَّذِي هُوَ إِنْسَانٌ تَحْتَ الْآلَامِ مِثْلَنَا، إِذْ يَقُولُ: «اعْتَرَفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلَّاتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لِأَجْلِ بَعْضٍ، لِكَيْ تُشْفَوْا. طَلِبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيرًا فِي فِعْلِهَا.» (يعقوب ٥: ١٦-١٧). وَقَدْ صَارَ هَذَا ظَاهِرًا وَجَلِيًّا فِي رَجُلِ اللَّهِ الْبَارِّ،

(فيلي ١ : ٢٧). وكَمَا يَقُولُ الْمُرْتَمِّ: لَمَّا كُنْتُ قَدْ امْتَزَجْتُ بِاللَّهِ، بِوَسِطَةِ الْفُضِيلَةِ وَالسَّيْرِ الْمُثَلَّى، يَا إِيلِيَّا النَّبِيَّ الْعَجِيبَ، نَلْتُ مِنْ لَدُنْهُ سُلْطَانًا، فَأَعَدْتُ نِظَامَ الْخَلِيقَةِ عَلَى مُفْتَضَى رَأْيِكَ، وَأَعْلَقْتُ أَبْوَابَ الْمَطَرِ بِإِرَادَتِكَ، وَاسْتَنْزَلْتُ نَارًا مِنَ الْعَلَاءِ، فَأَهْلَكْتَ بِهَا الْمُلْحِدِينَ. فَتَضَرَّعْ، طَالِبًا خَلَاصَ نَفْسِنَا.

فَنَحْنُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحْبَاءُ، الَّذِينَ نُكْرِمُ تَذَكَرُهُ الْمُقَدَّسَ، نَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ، لِكَيْ يَتَضَرَّعَ عَنَّا، وَيَشْفَاعَ عَنَّا، وَمَعَ تَضَرُّعَاتِ سَيِّدَتِنَا وَوَالِدَةِ الْإِلَهِ الْفَائِقَةِ الْبَرَكَاتِ وَالْمَجْدِ، الْعُذْرَاءِ مَرْثَمَ، يُوهِّلُنَا اللَّهُ: لَا لِنَصِيرَ مُسْتَحَقِّينَ أَنْ نَنَالَ فَضَائِلَ النَّبِيِّ الْمَجِيدِ إِيلِيَّا فَحَسْبَ، بَلْ لِنُعَايِنَ وَجْهَهُ الْمُنِيرَ، فِي نُورِ الْقُدَّاسَةِ. فَإِنَّ رُؤْيَا اللَّهِ، كَمَا يُعَلِّمُ الْقُدِّيسُ كِيرْلُسُ الْإِسْكَنْدَرِيُّ، لَا تُعْطَى إِلَّا لِمَنْ جَاهَدَ فِي اكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ، وَسَلَكَ فِي سُبُلِ النُّقَاةِ وَالْإِخْلَاصِ. آمِينَ.



مَعَ أَدْعِيَتِنَا وَبَرَكَاتِنَا الْأَبَوِيَّةِ البطريك ثيوفيلوس الثالث بطريك المدينة المقدسة اورشليم



العداري العاقلات والعداري الجاهلات للقدّيس يوحنا الذهبي الفم

أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ أَلْقُوا فِي الصُّنْدُوقِ: لِأَنَّ جَمِيعَهُمْ أَلْقَوْا مِنَ الْفَاضِلِ عَنْ حَاجَتِهِمْ، وَلَكِنَّهَا هِيَ أَلْقَتْ مِنْ حَاجَتِهَا كُلِّ مَا عِنْدَهَا أَلْقَتْ مَعِيشَتَهَا كُلَّهَا! (مرقس ١٢: ٤٢-٤٣).

«وَمَنْ سَقَى أَحَدَ هَؤُلَاءِ الصَّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تَلْمِيذٍ، فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَهُ» (متى ١٠: ٤٢).

الملكوت هو تجارة، هو عمل سماوي، ونحن نتعامل معه بلا مبالاة!

أعطِ خبزًا، **وخذ الفردوس!**

أعطِ قليلًا، **وخذ الكثير!**

أعطِ الفاني، **وخذ الباقي!**

أعطِ ما هو مؤقت، **وخذ ما لا يزول!**

لو كانت هذه التجارة تحصل في الأسواق ويُقدَّم فيها طعام رخيص ووفير، لما احتفظتم بممتلكاتكم؛

ومع احتفاظكم بكل شيء، لما ترددتم لحظة في محاولة اقتنائها.

لكن هناك، حيث كل شيء فاني، تبذلون حماسة كبيرة؛

أما هنا، حيث التجارة خالدة، فأنتم تُظهرون فتورًا ولا مبالاة!

وَمِنْ الْجَدِيرِ بِالدُّكْرِ أَنَّ النَّبِيَّ إِيلِيَّا لَمْ يَكُنْ غَيُورًا فَقَطْ، بَلْ كَانَ إِيلِيَّا - كَانْسَانٍ - خَاضِعًا لِقَوَانِينِ أَحْزَالِ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَفَسَادِهَا. وَكَمَا يَقُولُ الْقُدِّيسُ يُوْحَنَّا الْذَهَبِيُّ الْقَم، فَإِنَّ عِنَايَةَ اللَّهِ الْمُحِبَّةَ تَحُولُ دُونَ أَنْ يَذُلَّ مُحْتَازُهُ، حَتَّى لَا تَذِلَّهُ وَتُهَيِّنَهُ الْكِبَرِيَاءُ وَالتَّرَفُّعُ - هَذَانِ الْقَاتِلَانِ لِلْبَشَرِيَّةِ - كَمَا قَالَ الرَّسُولُ بُولُسُ: «وَلَيْلًا أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الْإِعْلَانَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلَكَ الشَّيْطَانِ لِيَلْطَمَنِي، لَيْلًا أَرْتَفِعَ.» (٢ كور ١٢: ٧).

وَبِكَلَامٍ آخَرَ، فَإِنَّ الدَّالَّةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي كَانَتْ لَدَيْهِ عِنْدَ اللَّهِ، وَالْمُعَايَنَةَ الْإِلَهِيَّةَ، وَالْقُوَّةَ الْعَجَائِبِيَّةَ، وَمَوَاهِبَ الرُّوحِ الْقُدَّسِ الْحُسْنَى الَّتِي مُنِحَ لَهَا الْقُدِّيسُ الْمَجِيدُ إِيلِيَّا، تَرْجِعُ - بِسَبَبِ رَئِيسِيَّ وَأَسَاسِيَّ - إِلَى غَيْرَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُتَقَدَّةِ، أَيْ إِلَى صَلَاحِ قَلْبِهِ وَاسْتِقَامَةِ نِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ، كَمَا يُوصِفُنَا الرَّسُولُ بُولُسُ قَائِلًا: «وَلَكِنْ جَدُّوا لِلْمَوَاهِبِ الْحُسْنَى» (١ كور ١٢: ٣١). وَيُعَلِّمُ الْقُدِّيسُ غِرِغُورِيُوسُ النَّبِصِيُّ قَائِلًا: «إِنَّ الْمَشِيعَةَ وَالْإِرَادَةَ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْتَعِيدَهَا أَوْ يُخْضِعَهَا، لِأَنَّ هُمَا قُوَّةٌ وَسُلْطَانًا ذَاتِيًّا، وَهَذَا السُّلْطَانُ يَكْمُنُ فِي حُرِّيَّةِ عُقُولِنَا وَتَفَكُّرِنَا.»

إِنَّ هَذِهِ الْأَقْوَالَ الْمُلهِمَةَ مِنَ اللَّهِ - لِلْحَكِيمِ بُولُسِ، وَلِأَيِّ الْكَنِيسَةِ الْمُتَوَشَّحِ بِاللَّهِ، الْقُدِّيسِ غِرِغُورِيُوسِ النَّبِصِيِّ - تُوضِّحُ قُوَّةَ الْغَيْرَةِ وَالْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ، الَّتِي تَمْنَحُ كُلَّ إِنْسَانٍ الْمُقَدَّرَةَ عَلَى طَلَبِ الْإِتِّحَادِ بِاللَّهِ فِي الْمَسِيحِ وَمَعَ الْمَسِيحِ، وَأَنْ يَكُونَ مُقْتَدِيًا وَمُتَمَثِّلًا بِالنَّبِيِّ إِيلِيَّا، حَسَبَ سِيرَتِهِ فِي اللَّهِ، كَمَا يُكْرِزُ الرَّسُولُ بُولُسُ: «فَقَطْ عِيشُوا كَمَا يَحِقُّ لِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ.»

النار هي البتولية، والزيت هو الرحمة (الصدقة).

إِذَا، كَمَا أَنَّ النَّارَ، إِنْ لَمْ تَجِدْ زَيْتًا تَتَغَذَّى بِهِ، تَنْطَفِئُ، كَذَلِكَ أَيْضًا الْبَتُولِيَّةُ، إِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهَا الرَّحْمَةُ، تَنْطَفِئُ...

«اذْهَبِينَ وَابْتَعْنَ زَيْتًا مِنَ الْبَاعَةِ»: «فَأَجَابَتِ الْحَكِيمَاتُ قَائِلَاتٍ: لَعَلَّهُ لَا يَكْفِي لَنَا وَلَكِنَّ، بَلْ اذْهَبْنَ إِلَى الْبَاعَةِ وَابْتَعْنَ لَكُنَّ.» (متى ٢٥: ٩).

ومن هم باعة هذا الزيت؟

هم الفقراء، أولئك الذين يجلسون أمام الكنيسة، متوسِّلين الرحمة.

وكم من الزيت يمكن أن أشتري؟

بقدر ما تشاء. لا أحد يحدّد الثمن، لعلّا يُعتبر ذلك تبريرًا للفقير. «بقدر

ما تستطيع، بذلك المقدار اشتر.»

هل تملك فلسًا؟ اشتر به الملكوت. «ليس لأن الملكوت يُباع، بل لأن الربَّ مُحِبٌّ لِلْإِنْسَانِ.»

لم يكن لديها سوى فلسين، فأعطتهما، فنالت النعيم.

«ثُمَّ جَاءَتْ أَرْمَلَةٌ فَقِيرَةٌ وَأَلْقَتْ فَلْسَيْنِ يُسَاوِيَانِ رُبْعًا وَاحِدًا. فَدَعَا تَلَامِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذِهِ الْأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ قَدْ أَلْقَتْ

الشيطان

والخطيئة

الجديّة

للقديس يوحنا الذهبي الفم

ترجم
من موقع

<https://www.pemptousia.gr/2021/03/o-diavolos-ke-to-propa-toriko-amartima-agiou-ioannou-tou-chrisostomou/>

ΠΕΜΠΤΟΥΣΙΑ

الحد؟ لماذا لا يسمح لكم أن تشاركوا في كل خيرات الفردوس، بل، صحيح أنه منحكُم لذّة النظر، لكنه لا يدعكم تشاركون في الخيرات وتمتّعوا بسرور أعظم؟ هل قال الله حقًا؟».

لماذا، يقول هذا؟ ما الفائدة من البقاء داخل الفردوس، إن لم يُسمح لأحد بأن يتمتّع بالخيرات الموجودة فيه، بل يكون بالأخص سببًا لحزن أعظم، حين توجد الرؤية، لكن لا يُسمح بالتمتّع الذي يتحقّق من تذوّق الثمر؟. أرايت كيف يُلقِي سُمّه بكلامه، كما يفعل بالطعم؟

كان ينبغي على المرأة، من خلال هذا المسعى، أن تُدرك عِظَم الحماقة، وأنّه يتكلّم عمدًا بأمر غير موجودة، وأنّه يبدو كأنّه وليّ أمر، لكي يتعرّف إلى الوصايا التي أعطاهها الله لهما، ويستدرجهما إلى المخالفة (٢).

لكن، لِنُصِغ إلى ما نُجيب به المرأة الحيّة. فعندما قال ذاك: «أَحَقًّا قَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟»، أجابت المرأة الحيّة: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللَّهُ: لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَمْسَاهُ لِقَلَّا تَمُوتَا».

أرايت الجريمة؟ قال ما ليس له وجود لكي يعرف الحقيقة، بعدما دفعها إلى الدخول في الحديث. لأنّ المرأة، إذ بدا له وكأنّه يُعاملها بودّ، تجرّأت، فكشفت الوصيّة كلّها. قالت كلّ شيء بدقّة. وبهذا الجواب الذي أعطته، حرمت نفسها من كلّ عذر.

وماذا كان يمكنك أن تقولي، أيها المرأة؟ قال الله: «لا تأكلا من جميع أشجار الفردوس». كان يجب عليك أن ترفضى الحيّة، لأنها قالت ما هو عكس ذلك، وأن تجيبها: «ابتعد، فأنت محتال. لا تعرف لا قوّة الوصيّة التي أعطيت لنا، ولا عِظَم التمتع، ولا وفرة العطاء. لقد قلت إنّ الله أوصى ألا نذوق من ثمار أي شجرة، بينما الربّ الإله، من عظيم صلاحه، بعد أن منحنا التمتع والسلطان، أوصى فقط بالامتناع عن شجرة واحدة. وفعل هذا من كثرة عنايته بنا، لئلا يُسيطر الموت علينا بمشاركتنا».

«وَكَاثِبَ الْحَيَّةِ أَخِيلَ جَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمَلَهَا الرَّبُّ الْإِلَهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟»

(فالحية كانت من أذكى حيوانات البرية من بين تلك التي خلقها الله. «أَحَقًّا قَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» (تكوين ٣: ١).

انتبه إلى الافتراء والابتكار الخبيث المُخادع من الشيطان الشرير. لأنّه، إذ رأى الإنسان الذي خُلِق، وقد وُضِع في كرامة عظيمة جدًّا، ولم يكن ينقصه شيء تقريبا عن الملائكة، كما قال المغبوط داود: «أنقصته قليلاً عن الملائكة» (مزمو ٨: ٦)، وهذا «القليل» جلبته خطيئة العصيان، لأنّ النبي قال هذا بعد العصيان. ولأنّ رئيس الشرّ، أي الشيطان، رأى الملاك الأرضي موجودًا على الأرض، فذاب حسدًا، لأنّه، وهو المنتمي إلى القوات السماوية، سقط من سمو مرتبته بسبب إرادته الشريرة ومن فرط شرّه، فاستعمل مكرًا عظيمًا ليحرم الإنسان من نعمة الله. وبعد أن يجعله جاحدًا، يُعزّيه من الخيرات العظيمة التي أعطيت له بسبب محبة الله للبشر. وماذا يفعل؟

وبما أنّه لاحظ أنّ هذا الحيوان، الحيّة، من جهة الفطنة، هو أعلى من باقي الحيوانات، كما أكّد المغبوط موسى أيضًا بقوله: «وَكَاثِبَ الْحَيَّةِ أَخِيلَ جَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمَلَهَا الرَّبُّ الْإِلَهُ»، لذلك استخدم هذا الحيوان كأداة ما، وبواسطة الكلام، جذب إلى خداعه الخاص الوعاء الأضعف، أي المرأة. (١).

فبما أنّه استخدم هذا الحيوان غير العاقل لصنع المؤامرة، بهذا [الحيوان] يتحاور مع المرأة، ويقول: «هل قال الله فعلاً ألا تأكلا من جميع أشجار الفردوس؟».

لاحظوا هنا عِظَم الجريمة ودقّتها. فما لم يقله الله، يُدخله في الحوار على هيئة نصيحة وسؤال، وكأنّه يتولّى حمايتهم؛ فهذه بالضبط هي دلالة الكلمات: «أَحَقًّا قَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟». كأنّ هذا الشيطان الخبيث يقول: «لِمَ حرّمكم من لذّة عظيمة إلى هذا

هكذا هي **الأعيب العدو ومكره**: عندما يرفع أحدًا بالخداع إلى علو كبير، يُسقطه بعد ذلك بقوة إلى هاوية عميقة.

فعندما تصوّرت مساواتها بالله، أسرع نحو التناول، ومنذ تلك اللحظة وجّهت عقلها وفكرها نحو ذلك فقط. ولم تكن تفكر في شيء آخر سوى كيف تشرب الكأس كلها، التي قدّمها لها الشيطان الشرير.

وربما يقول أحد: بما أنّ الشيطان، الذي تصوّف من خلال الحيّة، هو من أعطى النصيحة، فلماذا عوقب هذا الحيوان (الحيّة) بهذه القسوة؟ وهذا بالتحديد هو عمل محبة الله اللامحدودة.

ملحوظة: التفسير بحسب الذهبي الفم: العقوبة التي وقعت على الحيّة ليست فقط عقابًا لها، بل هي علامة محبة للبشرية، لسببين رئيسيين:

١. كشف الشيطان: بمعاينة الوسيط (الحيّة)، يُظهر الله مكر العدو الحقيقي ويُعلن الحرب عليه علنًا. هذا يشير إلى أن الله لم يتجاهل الخداع الذي تعرّض له الإنسان، بل فضحه منذ البداية.

٢. العدالة التربوية والرمزية: الحيّة، وإن كانت أداة، صارت رمزًا للكبرياء والمكر، وعقابها يصير درسًا دائمًا للبشرية: أن لا نصغي لصوت المضلل، حتى لو جاء في صورة بريئة أو حكيمة. فالعقوبة تذكر الإنسان بأن لكل خطيئة عاقبة.

كيف تظهر المحبة هنا؟ الله لم يُفني الحيّة ولا الإنسان فورًا. بل أظهر الرحمة والتدبير الخلاصي: وعدٌ بمحيي المسيح، نسل المرأة، الذي يسحق رأس الحيّة (تك ٣: ١٥). إذاً العقوبة كانت أول إعلان للعداء، والتدخل الإلهي يُظهر أن الله لم يُسلم الإنسان للشيطان، بل سار معه في درب الخلاص.

وكما أنّ أبًا شفيقًا، حين يُعاقب قاتل ابنه، يُطّمْ السيف أو السكين الذي ارتكبت به الجريمة ويفتته إلى أجزاء كثيرة، كذلك **الله الكلّي الصلاح**، بما أنّ هذا الحيوان (الحيّة) صار خادماً في خداع إبليس، أشبه بسكين في يده، يفرض عليه عقوبة دائمة، لكي تتأمل من خلال هذا الحيوان المنظور والمحسوس كم هي جسيمة العقوبة التي نالها ذلك (أي الشيطان). لأنّه، إن كانت الحيّة التي لم تكن سوى أداة قد نالت سخطاً بهذا المقدار، فكم بالحريّ العقوبة التي ينبغي أن يُعاقب بها إبليس نفسه؟ بل بالحقيقة إنّ **المسيح نفسه** علّمنا هذا من خلال الأناجيل المقدسة، إذ قال للذين عن يساره: «**أذهبوا عني يا ملائيّن إلى النار الأبديّة المُعدّة لإبليس وملائكته**» (متى ٢٥: ٤١).



عن الصليب – القديس يوحنا الذهبي الفم

السموات بعدما اقترب من الهلاك وصار غير مستحق ولا للأرض التي هبط إليها.

قد علمتم كيفية نصرته، فتأملوا الخير الذي عاد علينا دون أن نتكلّف تعبًا ولا عرقًا. أيدينا ملوّنة بالدم دون أن نشترك في الحرب، وبالرغم من ذلك فلنا نصيب في هذا الانتصار.

أنا أرى الرب يجاهد إلى أن فاز بالإكليل، وهوذا – يا للعجب – فوق رؤوسنا. لذلك تمثّلوا بالجنود الغالبيين، هلّلوا بالانتصار، أنشدوا تسابيح التمجيد للغالب. صيخوا بالصوت العالي: الموت ابتلع إلى غلبة. يا موت أين نصرتك؟ ويا هاوية أين شوكتك؟ (هو ١٣: ١٤)!

ملحوظة: حين قال الشيطان للمرأة: «هل قال الله لا تأكلا من جميع أشجار الفردوس؟» فهو لا ينقل أمر الله كما هو، بل يُحرّفه عمدًا، إذ يُبدّل صيغة العطية إلى صيغة المنع، ويُظهر الله كمن يقيد الإنسان ويحرم عليه كل خيرات الفردوس. في الحقيقة، الله لم يمنع الإنسان من كل الأشجار، بل ابتداءً بكلمة عطية وحرية، ثم وضع وصية واحدة فقط. قال الله: «**من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأمّا شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها مموتاً مموتاً**». (تك ٢: ١٦-١٧). هذه هي أول خدعة في التاريخ، يُلبس فيها الشيطان الباطل ثوب الحق، ويزرع الشك بدل الإيمان، ويقود الإنسان إلى سقوطه من خلال تشويه صورة الله الصالح. (انتهت الملحوظة).

لكن، بعد أن كشفت المرأة الوصية وقالت ما قد قاله لهما الله، تقبّل من الشيطان نصيحةً أخرى مدمّرة ومميتة. فعندما قالت المرأة: «**من ثمّر شجر الجنة تأكل، وأمّا ثمّر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلًا منه ولا تمسّاه لئلا تموتاً**»، يعود عدوّ خلاصنا فيُقدّم مشورة مضادة **لكلام الرب**. إذ بينما الإله المُحبّ للبشر، من شدة عنايته، قد منع التناول منها لئلا يصيروا مائتين بسبب العصيان، يقول ذاك للمرأة: «**لن تموتا البتة**». فأيّ عذر يمكن أن يقال عن المرأة، التي قبلت أن تصغي بانتباه لذاك «الذي كان يتجرأ أن يقول أقوالاً بهذا المقدار من الجرأة والوقاحة؟» لأنّه، بينما قال الله: «**ولا تمسّاه لئلا تموتا**»، قال هو: «**لن تموتا البتة**».

(حسب الذهبي الفم: οὐ θανεῖσθε ἀποθανεῖσθε παντάπασι «أو نبيسته أبونبيسته بنداباسي» أي: لن تموتا البتة أو: لن تموتا إطلاقاً). ثم، ولأنّه لم يكتفِ فقط بأن يعارض أقوال الله، فإنّه يشوّه سمعة الخالق ويُقدّمه على أنّه حسود، لكي يتمكن بذلك من أن يُقحم الخداع، وبعد أن يُسقط المرأة، يُحقّق قصده.

«لن تموتا البتة»، يقول. «بل الله يعلم أنّه في اليوم الذي تأكلان فيه من هذه الثمرة، ستفتح أعينكما، وتكونان كآلهة، عارفين الخير والشر». **ها هو الطعم كله**.

وبعد أن ملأ الكأس بسُمّ قاتل، قدّمه للمرأة. أمّا هي، فلم ترد أن ترى ما يحتويه من موت، لأنها كانت تستطيع، لو أرادت فعلاً، أن تعرف ذلك منذ البداية. لكن، بعدما سمعت منه أنّ الله قد منع التناول، لأنّه يعرف أنّ أعينكما ستفتح، وتكونان كآلهة، عارفين الخير والشر، امتلأت بالكبرياء تحت وهم المساواة مع الله، وصارت تتصوّر أمورًا عظيمة عن نفسها.

الصليب أزال العداوة بين الله والإنسان، وجاء بالمصالحة. جعل الأرض سماءً، وجمع الناس مع الملائكة. هدم حصون الموت، وحطّم قوة الشرير. الصليب مسرة الآب، ومجد الابن، وتهليل الروح، وفخر الرسول القائل: «حاشا لي أن افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح».

الصليب يفوق الشمس في لمعانها، يخطف البصر أكثر من شعاعها. لما أظلمت الشمس فليس هذا إلا لأن الصليب سطع ببريقه فاضمحلت أمامه، ليس أنها انطفأت بل انغلبت أمام لمعانه. الصليب حطّم قيودنا، وجعل سجن الموت كلاً شيء. هو الحائط المنيع، ودرع لا يُقهر.

الصليب فتح الفردوس، وأدخل اللص، وأوصل جنس البشر إلى ملكوت



زِيَّاح الصليب

الصليب الكريم المحيي - كشعار وعلامة للمسيح

للشيخ بيروندا جيوارجيوس كابساني - دير غريغوريو، جبل آثوس

ΠΕΜΠΤΟΥΣΙΑ

<https://www.pemptousia.gr/2022/09/o-timios-stavros-os-simvolo-ke-simio-tou-christou/>

ترجم
من موقع

الذي تأكلونه في القداس.»، فسألهم مرةً أخرى: «وأيُّ هذه الثلاثة تخافونه أكثر؟». فأجابوا: «لو كنتم تحفظون جيداً ما تتناولونه، لما استطاع أحدٌ منا أن يؤذي أيَّ مسيحيٍّ». إذاً، فإنَّ ما يخافه الشياطين أكثر من كلِّ شيء هو: **الصليب، والمعمودية، والمناولة الإلهية.**

قوة الصليب الكريم:

إنَّ النعمة والقوة الكامنة في الصليب الكريم لا تنبعان من شكله بحدِّ ذاته، أي من كونه صليبيًا، بل لأنَّه **صليب المسيح**، الأداة التي بها خلَّصَ المسيح العالم. إنَّه المذبح الذي عليه قدَّم نفسه ذبيحةً عن العالم بأسره، ككاهنٍ وذبيحةٍ في آنٍ واحد. كلُّ الاتضاع والفقر والإخلاء والمهانة والعذاب والألم والموت التي احتملها لأجلنا، تبلغ ذروتها على الصليب؛ فهناك عاشَ أعمقُ ألمٍ وتحملَ أعظمَ إهانةٍ من أجلنا. لقد صارَ من أجلنا لعنةً لكي يحرِّرنا من لعنة الخطيئة والنَّاموس. إنَّ كلَّ عملٍ للمسيح ومحَبَّته للبشر يتركِّزان في صليبه. وقد روى القديس غريغوريوس بالاماس أنَّ أحد المراهقة سألَ أحد آبائنا الحاملين الله باستهزاء: «هل تؤمنُ بالمصلوب؟» فأجابه الشيخ قائلاً: «نعم، أوْمُنُ بمن صُلِّبَ الخطيئة!».

على الصليب، حلَّ الإله المتجسِّد، يسوع المسيح، مأساة الحرية البشرية التي سبَّها عصيانُ الإنسان الأوَّل، إذ «وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتَ الصَّليبِ» (فيلي ٢: ٨)، فأعادَ توجيهَ حرَّيتنا نحو خالقها، **الإله المثلَّث الأقانيم**. على الصليب، غلبَ المسيح موتنا - إذ «وُطِيَء الموت بالموت» - عندما جعلَ موتنا موتاً له، وبهذا، وهبنا بقيامته الحياة وعدمَ الفساد.

بواسطة الصليب صالحتنا **مع الله الآب**، ووهبنا غفرانَ خطايانا. وعلى الصليب، أظهرَ بأبلغ طريقةٍ ممكنة أنَّه يُحِبُّنا بحُبِّة لا نهائية، حتَّى في الساعة التي كنَّا فيها نُصلِّيه.

بواسطة الصليب، جمعنا المسيح ووحدنا في جسدٍ واحدٍ، نحن أبناء الله الذين كنَّا من قبلٍ متفرِّقين، فهدمَ الجدران التي لا تُخترق والتي كانت تفصلنا، و«**بني في نفسه الإنسان الجديد**» (أفسس ٢: ١٥). على الصليب، طهَّرَ المسيح وقدسَ السماء والهواء والأرض، لأنَّه صُلِّبَ تحت السماء، وارتفعَ في الهواء، وسالَ دمه الكليُّ القداسة على الأرض. على الصليب قدَّمَ المسيح ذبيحةً شاملةً من أجلِ كلِّ الأرض،

إنَّ الصليب الكريم هو أقدسُ علامةٍ ورمزٍ لإيماننا. فجميعُ الأسرار المقدَّسة تُستكملُ باستدعاء **الرُّوح القدس وختم الصليب: المعمودية، والميرون، والإفخارستيا الإلهية.**

جميعُ البركات الكهنوتية هي بركات صليبية. فالهياكل المقدَّسة، والأواني الكنسية، والألبسة الطقسية تُقدَّس بالصليب الكريم.

ولا يُمكن تصوُّر عملٍ ليتورجيٍّ أو اجتماعٍ للمؤمنين بدون ختم الصليب الكريم.

إنَّ الصليب هو رفيقُ الأصدق لكلِّ مسيحيٍّ أرثوذكسيٍّ، منذ لحظة ولادتنا حتَّى موتنا. بل إنَّ قبرَ المسيحيِّ يُباركُ بالصليب.

نرسمُ إشارة الصليب على أنفسنا مراراً، ونحملُ الصليب على صدورنا، وفي بيوتنا، وفي سيارتنا، وفي أماكن عملنا. وكما تُرتلُ الكنيسة:

«**الصليب** هو حارسُ المسكونة كلها،

الصليب هو بهاء الكنيسة،

الصليب هو ثباتُ الملوك،

الصليب هو دعمُ المؤمنين،

الصليب هو مجدُ الملائكة،

وجرحُ الشياطين!»

إنَّ **الصليب** هو ليس فقط أقدس وأحبَّ الرموز، بل هو أيضاً الرمزُ المسيحيُّ الذي لا يُستغنى عنه. فبدونه لا يُمكن تصوُّر كنيسة المسيح المصلوب. ولهذا، فإنَّ المراهقة إمَّا أنَّهم لا يُظهرون الاحترام الواجب للصليب الكريم، كما هو حال البروتستانت أو الإنجيليين، وإمَّا أنَّهم يُنكرونه تماماً ويُجذِّفون عليه، كما يفعلُ شهودُ يهوه.

وقد ورد أيضاً في: كتاب الشيوخ والأباء (الجيرونتيكون) (شيوخ برية مصر وفلسطين وسوريا): «كان **يوحنا البُسريني** O Ιωάννης ο Βουστρηνός رجلاً قديساً وله سلطانٌ على الأرواح النجسة. فسألَ الشياطين التي كانت تسكن في بعض الفتيات، واللواتي كنَّ بسببها ممسوسات ومُتألِّمات بشدَّة، وقالَ لهم: «ما الأشياء التي تخافونها من المسيحيين؟» فأجابوه: «لديكم، في الحقيقة، ثلاثة أمورٍ عظيمة: ذاك الذي تلبسونه في أعناقكم، وذاك الذي تغتسلون به في الكنيسة، وذاك

وتطهيراً مشتركاً من أجل الطبيعة البشرية بأسرها، ولهذا تألم خارج المدينة، وخارج هيكل سليمان، كما يُعلمنا لاهوتياً **القديس يوحنا الذهبي الفم**.

على الصليب، وبواسطة «ارتفاعه الممتلئ تواضعاً»، كما تقول صلاة قديمة، رفع طبيعتنا البشرية التي كانت، بسبب «الارتفاع الكاذب والغرور الباطل»، قد انحدرت «حتى الجحيم». وعلى الصليب، أظهر أن هذا العالم ليس هو الحقيقة النهائية، بل هو الطريق المؤدي إلى تلك الحقيقة، إذا ما جاهدنا فيه جهاداً صليبيّاً ضد كبريائنا. وهكذا، أعاد للمخلوقات معناها الإيجابي.

على الصليب، كشف المسيح نفسه كالمُحسن الوحيد، والمخلص والفادي وواهب الحياة للعالم بأسره، وهَدَمَ نهائياً عمل إبليس، وحطّم طريقه ومكائده، وخدّعه، وسلطانه وقدرته على الناس. ولهذا، فإنّ الشيطان «يرتعد ويقشعر، غير قادر أن يحتمل النظر إلى قوّة الصليب»، أمّا نحن، فمع الكنيسة نرتّل قائلين: «صليبت من أجلي، لكي تفيض عليّ الغفران، وطُعنّت في جنبك، لكي تُفجّر لي ينابيع الحياة، وسُمرت بالمسامير، لكي أصرخ لك أنا، إذ أؤمن، من خلال عمق آلامك، بعلو سلطانك قائلاً: أيها المسيح واهب الحياة، المجد لك، ولصليبك، يا مُخلص، ولآلامك!».

موت الربّ على الصليب هو موتٌ مُحيٍّ ومُخلص، يمنح الحياة والخلاص.

موت المسيح على الصليب لم يكن قسراً، بل باختياره الحرّ:

لأنّ هذا الموت كان طوعياً. فالربّ يتقدّم نحو الموت لا كمُدان، بل كملكٍ يُقدّم ذاته ذبيحةً عن رعيّته، كما يقول: «لِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِعُهَا، وَكَيْفَ أَتَخَصَّرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟» (لوقا ١٢: ٥٠). ولهذا كتب البيزنطيون على الصليب: «ملكُ المجد»، وسموا الربّ لا كمُغلوبٍ بالألم (لا يتبدّل جسده من يديه في ضعف تام)، بل كسيدٍ حتى على الألم، باسطاً يديه أفقيّاً على الصليب بملء الإرادة والسلطان.

لأنّه موتٌ حقيقيّ:

الربّ، الذي لا يتألم بحسب لاهوته، تألم من أجلنا بحسب الجسد. لقد سمحت طبيعته الإلهية أن تختبر طبيعته البشرية قلقاً ما قبل الموت (الرغبة الحقيقية من الموت، الاضطراب العميق)، وآلام الصليب. فقد كان لا بُدّ له أن يحيا موتاً بالكامل، لا بشكل ظاهريّ. بل إنّه، للحظة في بستان جنسيماني، أبدت طبيعته البشرية تردّداً، لكنّها خضعت لإرادة الطبيعة الإلهية، فتألّمت وماتت من أجل حياة العالم وخلاصه.

لأنّ المسيح الذي تألم هو بلا خطيئة:

تألّم ومات، وهو بلا خطيئة، من أجل الخطاة. وهذه حقيقةٌ أساسية: أنّ الربّ كان بلا خطيئة، لأنّ طبيعته البشرية، ومنذ الحبل بها، كانت متّحدة بالطبيعة الإلهية، بسبب الاتحاد الأقنوميّ في شخص كلمة الله.

إنّ صليب المسيح كان وما يزال «وَلَكِنَّا نَحْنُ نَكْرُرُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوباً: لِلْيَهُودِ عَثْرَةٌ، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةٌ! وَأَمَّا لِلْمَدْعُودِينَ: يَهُوداً وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ اللَّهِ» (١ كورنثوس ١: ٢٣). إنّه

أعظم مفارقة في التاريخ: فبالموت جاءت الحياة، وباللعنة جاءت البركة، وبالعار جاءت المجد، وبالاتضاع جاءت الرفعة. وكما يقول **القديس غريغوريوس بالاماس**: «هذه هي حكمة الله وقوّته: أن ينتصر بالضعف، وأن يرتفع بالاتضاع، وأن يغتني بالفقر».

ليس من قبيل المصادفة أنّ الربّ لم يُرد أن يبقى في مجد التحلّي ويتجنّب الصليب، بل إنّه، بعد نزوله من جبل ثابور، بدأ يُعدّ تلاميذه لما «كان مزماً أن يُصاب به» (مرقس ١٠: ٣٢).

وعندما نصحه بطرس بأن يتجنّب الموت على الصليب، انتهره الربّ بشدّة، قائلاً له: «أَذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعَثْرَةٌ لِي، لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ». (متى ١٦: ٢٣).

وإذ كان يسير نحو آلام الطوعية، قال: «الآن تمجّد ابنُ الإنسان» (يوحنا ١٣: ٣١). وفي مواضع أخرى من الإنجيل، يُشار إلى الصليب بوصفه مجد المسيح (يوحنا ١٢: ٢٣). وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: «كان الصليب فيما مضى موضوع حزيّ وعقوبة، أمّا الآن فقد صار سبباً للمجد والكرامة. ولكي تعرف أن الصليب هو مجد، اسمع المسيح يقول: «أيها الآب، مجدّني بالمجد الذي كان لي عندك قبل أن يكون العالم» - وكان يُسمّى الصليب مجدّاً.».

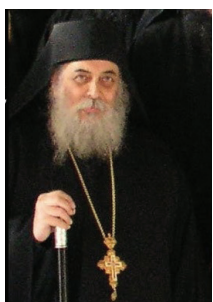
تلخيص فحوى العظة

الصليب ليس مجرد أداة عذاب تاريخية، بل هو قلب الإعلان الإلهيّ عن حبّ الله غير المشروط للإنسان. لقد شاء الربّ، لا أن يُخلّصنا بكلمةٍ مقتدرة فقط، بل أن يدخل في عمق ألمنا، ويصير شريكاً في ضعفنا، حتى الموت، بل موت الصليب. فالمصلوب لم يغلب الموت بسطوة سماوية فورية، بل بالحبّة، بالطاعة، بالاتضاع، مُحوّلاً أداة العار إلى راية مجد، ووسيلة الهلاك إلى ينبوع خلاص.

في سرّ الصليب، يتلاقى الألم بالرجاء، والضعف بالقوّة، والفقير بالغني، والموت بالحياة. هو المنارة التي تهدي كلّ إنسانٍ إلى الطريق الضيق المؤدي إلى الملكوت. لا عجب أن يصرخ بولس الرسول: «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَحَرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ». (غل ٦: ١٤).

إنّ حمل الصليب اليومي لا يعني فقط احتمال الأوجاع، بل الدخول في سرّ الفداء، في شركة المسيح، وفي تمجيد الله من خلال الجراح. فكلّ جرح مقبول بالحبّة، يتحوّل إلى مجدٍ أبديّ، وكلّ صليب يُرفع بالصلاة والتسليم، يصير درجاً نحو القيامة.

فلننظر إلى الصليب لا كحدثٍ مضى، بل كحقيقة حيّة، تُضيء حياتنا، وتوجّه مسيرتنا، وتُقيمنا من مواتٍ الخطيئة، نحو حياةٍ جديدةٍ في المسيح.



✠ الأرشمندريت الأب جيورجوس، رئيس دير القديس غريغوريوس - جبل آثوس، صليب المسيح ومعناه في حياتنا، منشورات دير القديس غريغوريوس، جبل آثوس، ١٩٩٧، (الصفحات ١١-١٨)



وإذ يحمل الجميع في فكره، لا يُقسّم بينهم المحبة التي جمعهم بها. ولكن، لأن يهوذا، الخائن المستقبلي، لم يكن مستحقاً أن يرى الوجه الإلهي وتلك الرؤيا المخيفة، لذلك ترك الرب الآخرين، لكي يترك بعد ذلك ذاك (يهوذا) أيضاً، دون أن يُترك وحده دون عذر.

وأخذ الثلاثة، بحسب الناموس الموسوي، ليكونوا شهوداً كافين للتجلي. هؤلاء الثلاثة، من الداخل، في النفس، جلبوا معهم أيضاً الآخرين. لأن الرب نفسه يقول: «أَيُّهَا الْآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ» (يوحنا ١٧: ١١).

«ذلك لأته، لو كان يهوذا يرى أندراوس وتوما وفيلبس وسائر التلاميذ على الجبل بالقرب من المسيح، وهم لا يتذمرون، ولا يتأففون، ولا ينطقون بكلمة سوء، بل على العكس، يفرحون ويعتبرون أن النعمة النازلة من العلاء إنما تُمنح لهم ولمن غابوا عنهم على حدّ سواء - لكان هو (يهوذا) قد صار بلا عذر، إذ لم يتجاهله المسيح قطّ في آية معجزة. بل، بالعكس، كان في حوزته صندوق التبرعات، ومع ذلك فقد حسد عبثاً المرأة الشاكرة مريم (أخت لعازر) في بيت عنيا حين سكبت الطيب، وبلغ به الأمر إلى أن تجرّأ على تسليم المعلم إلى الأعداء.»

ملحوظة توضيحية: يريد القدّيس يوحنا الذهبي الفم أن يُظهر أن سقوط يهوذا لم يكن بسبب الإهمال أو التمييز من جهة المسيح، بل كان نتيجة اختياره الشخصي الحرّ. فلو تأمل يهوذا موقف باقي التلاميذ على جبل التجلي، لرأى أنهم لم يشعروا بالغيرة أو الضيق لعدم امتيازهم الخاص، بل فرحوا وشكروا الله من أجل كل نعمة تُعطى لهم أو لإخوتهم. بهذا يُبين الذهبي الفم أن روح المشاركة والتواضع كانت تسود بينهم، بينما يهوذا وحده، رغم ما ناله من ثقة (حمل صندوق التبرعات) ورغم مشاركته في المعجزات، سمح للحسد والطمع أن يعميّا بصيرته، مما قاده في النهاية إلى الخيانة. فلننتبه، يا أحبّاء، إلى أن النعمة الإلهية لا تكفي وحدها إن لم يُقابلها قلب نقي، خالٍ من الحسد والانقسام، وقادر على قبول مشيئة الله بتواضع وفرح. التلاميذ نالوا النعمة معاً، لكن يهوذا لم يفتح قلبه لها. فليكن قلب كلٍّ منّا مستعداً ليحمل النور، لا الغيرة. هذا هو الطريق إلى الشركة الحقيقية مع المسيح.

هيا بنا، يا أصدقائي، لنمذّ اليوم أيدينا بدون تردّد إلى كنوز الإنجيل، لكي نستخرج من هناك، بحسب عادتنا، غنى يُورّع بوفرة على الجميع، دون أن ينقص منه شيء على الإطلاق.

تعالوا لتتبع مرة أخرى مرشدنا الحكيم والجميل، لوقا، لنرى المسيح يصعد إلى جبل عالٍ، ويأخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا، شهوداً على التجلي الإلهي.

فقد قال: «أخذهم معه»، أخذ أولئك الذين كانوا يشكّلون رفقة بطرس المقرّبة، (المقصود من قوله «الذين كانوا رفقة بطرس»، هو تسليط الضوء على التلاميذ الثلاثة الذين اختارهم الرب ليكونوا شهوداً لأحداث محورية، لأنهم يشكّلون دائرة القرى الرسولية الخاصة. وقد درج التقليد الأبائي على تمييز هؤلاء الثلاثة من خلال صفاتهم: السلطان الرسولي (بطرس)، والغيرة الرسولية (يعقوب)، والمحبة الطاهرة (يوحنا).»

وصعد السيّد إلى جبل عالٍ.

جبل عالٍ: حيث الثنائي موسى وإيليا كانا يتحدثان مع المسيح.

جبل عالٍ: عليه كان الناموس والأنبياء يتحاورون مع النعمة.

جبل عالٍ: عليه وقف موسى، ذاك الذي صار ذابحاً للحمل في فصح بني إسرائيل، ورشّ بدمه العتبات العليا لأبواب العبرانيين.

جبل عالٍ: عليه وقف إيليا، ذاك الذي بجوار أولئك (أنبياء البعل) قطع الثور، وأفنى الذبيحة المغمورة بالماء بالنار.

جبل عالٍ: عليه وقف موسى، الرجل الذي شقّ وأغلق المياه الكثيرة دوماً المتلاطمة للبحر الأحمر.

جبل عالٍ: لكي يتعلّم الذين ينتمون إلى دائرة بطرس ويعقوب أن هذا هو الشخص، الذي أمامه ستجثو كلّ ركبة في السماوات وعلى الأرض وتحت الأرض.

بالتأكيد، لقد صعد (الرب) مع ثلاثة فقط، لم يأخذ الجميع معه، ولم يترك الجميع في الأسفل، ولم يستبعد الآخرين من إعلان مجده، ولم يحكم عليهم بأنهم أقلّ شأنًا، لأنّه، بما أنه عادل، يُدبّر كل شيءٍ بالعدل

لكن، يا بطرس، أيها الأول في الصف، والمتقدم بين جماعة التلاميذ (الذهبي الفم يستخدم هذا التعبير ليس لإعطاء بطرس سلطة مطلقة، بل ليظهر مدى مسؤوليته عن كلامه وسلوكه. فمن كان الأول في الجماعة، عليه أن يكون الأول في الفهم والطاعة أيضًا)، لماذا تندفع باستهانة وراء أفكار تافهة، وتتكلم بكلام بشري كليا على حساب الأمور الإلهية، راعبًا أن تنصب ثلاث خيام في البرية؟ أنت تُساوي، بقيمتك، السيد مع العبيد؟ وهل تُسرّع أن تُقيم للمسيح خيمة واحدة، ولآخرين مثلها؟!

فهل موسى حُبِلَ به من **الرُّوح القدس كما هو المسيح**؟ وهل إيليا وُلد من عذراء كما **وُلد المسيح من العذراء الكلية القداسة مريم**؟ وهل سبق ليوحنا السابق أن أدرك موسى وهو جنين في الحشا، كما أدرك المسيح؟

هل أرسلت السماء رسالة بمولد إيليا؟ هل سجدَ الجوس لأقمطة موسى؟

هل أجرى موسى وإيليا معجزاتٍ كالمسيح؟ أو هل طردا من مغارة بشرية (جسد الإنسان أو كيان الإنسان الداخلي) أرواحًا شريرة؟

«صحيح أن موسى غضب مرة، وضرب البحر بعصاه، فانشقَّ وعبره... لكنَّ معلّمك، يسوع، مشى على وجه الماء، وجعل الأعماق نفسها موطئًا للأقدام.»

إيليا، بعد تضرّع، كثرَ دقيق الأرملة وأقام ابنها من الموت.

أما هو **(المسيح)**، فقد دعاك - وأنت تلميذ له - من وسط الصيادين، وأشبع بقلة من الأرغفة آلاف الناس، وتركَ الجحيمَ عاريًا من سلاحه، وخطفَ أولئك الذين، مذ ظهر الإنسان على الأرض، كانوا مُستسلمين لنوم الموت.

ملحوظة توضيحية: «في هذه الفقرة، يواصل القديس يوحنا الذهبي الفم مقارنة المسيح بالأنبياء العظام مثل إيليا، مُظهرًا أن ما فعله الرب يفوقهم جميعًا في القدرة والمجد:

فإيليا أقام واحدًا من الموت، أما المسيح فأقام البشرية كلها من موتٍ أبدي. إيليا كثرَ الطحين، أما المسيح فأشبع الآلاف بخمسة أرغفة.

والمسيح هو الذي دعا بطرس من البحر، لا كنيي فحسب، بل كرب الخليفة. إنّما دعوة لرؤية المسيح، لا كمجرّد صانع معجزات، بل كابن الله الحي، الذي كشف لنا في تجلّيه وجه الآب، وجعلنا شركاء في مجده الإلهي، وكغالب الموت ومحرّر البشرية من الجحيم.»

«لهذا، يا بطرس، لا تُثقل: «لنصنع هنا ثلاث خيام»، ولا «جيد أن نكون هنا»، ولا أيّ كلامٍ يعود إلى ما هو بشريّ أو صغير أو دنيويّ أو تافه. بل فكّر في العلويات، واطلب العلويات، كما أعلن بولس، لا ما هو أرضي. لأنّه كيف يكون جميلًا أن نكون نحن هنا، حيث الحية أساءت التصرف وأضرّت بالإنسان الأول، وأغلقت الفردوس؟ وحيث سمعنا أن يأكل خبزه بعرق وجهه؟ وحيث تعلّمنا أنّه قيل له أن يتنهّد ويرتعد بسبب عصيانه على الأرض؟ وحيث كلّ شيء هو ظل؟

وحيث كلّ شيء سيمضي ويزول في وقتٍ لا يزيد عن لحظة واحدة؟

فكيف، إذًا، يكون البقاء هنا أمرًا جميلًا؟

إن كان المسيح أراد أن يتركنا هنا، فلماذا أخذ جسدًا ودمًا؟ وإن كان يريد أن يتخلّى عنّا هنا، فلماذا انحنى بتواضع نحو الإنسان الساقط؟ ولماذا أقام من كان ساقطًا على الأرض؟»

ملحوظة توضيحية: في هذه الفقرة، يُقدّم الذهبي الفم توبيخًا لاهوتيًا رفيعًا لبطرس - ولكل من يرغب أن يستقرّ في "راحة أرضية" مؤقتة - فيقول له: "لا تطلب أن تبقى على جبل التجلي، فالأرض ليست مقامنا الأبدي!"

إنّه يُظهر بوضوح أن هذه الأرض هي موضع السقوط، والدموع، والعرق، والظلّ الزائل. أما المسيح، فقد اتخذ جسدًا لا لكي يمكث معنا على الجبل، بل ليرفعنا معه إلى حيث النور الذي لا يغرب. إنّها دعوة إلى الترحال الروحي، لا إلى التعلّق بما هو زائل وأرضي.

«إن كنتَ تظنّ أنّه من الجميل أن نبقى على الأرض، فقد نلتَ لقب «حامل مفاتيح السماوات» عبثًا.

ففي أيّ موضعٍ، إذًا، تُستخدَمُ مفاتيح السماوات؟

إن كنتَ تشتهي هذا الجبل، فاتركَ إذًا السماوات إلى ما بعد! وإن كنتَ تريد أن تنصب خيامًا، فلا تتصرّف كمن سيقيمهم الرب حجرًا أساسًا للكنيسة.

لأنّ المسيح لم يتجلّ عبثًا، بل لكي يُظهر لنا، من خلال الأمور المنظورة، التحوّل الذي ستخضع له طبيعتنا، وكذلك مجيئه الثاني الخلاصي، الذي سيكون على الغمام، وسط أصوات رؤساء الملائكة. فهو ذاته ذاك الذي يكتسي النور كالثوب، والذي سيكون ديان الأحياء والأموات.

لذلك أظهر موسى وإيليا، لكي يقدّم أمثلة عن الوجوه القديمة.»

وماذا يقول الكاتب العظيم (الإنجيلي لوقا)؟

«وبينما هو (بطرس) لا يزال يتكلّم، إذا بسحابة نيرة تظللهم، وإذا بصوتٍ من السماء يقول: «هذا هو ابني الحبيب، الذي به سررتُ كلَّ السرور، فله اسمعوا».

وفيما بطرس لا يزال يتكلّم، قال الآب ردًا على كلامه:

«لماذا، يا بطرس، تقول إنّك جميل أن نكون هنا، وأنت لا تعرف ما الذي تقوله؟ هل نسيتَ نفسك؟ أم أنّك تغار من الجنس البشري؟ أما زلتَ لم تُدرّب بعد؟

ألم تكتسب بعد المعرفة الأكيدة بالبنوة، أنت الذي قلتَ: «أنت هو المسيح، ابن الله الحيّ». كم من المعجزات رأيتها بوضوح، يا ابن يونا، ولا تزال تُدعى سمعان؟

لقد جعلك حاملًا لمفاتيح السماوات، ومع ذلك لم تخلع بعدُ عنك ثوب مهنتك البحرية!

ملحوظة توضيحية: في هذه الفقرة، يُسلّط القديس يوحنا الذهبي الفم الضوء على توبيخ الله الآب لبطرس، لا بلهجة الغضب، بل بروح التقويم الأبوي والمحبة. فمع أن بطرس قال سابقًا الإقرار الإيماني الصحيح: «أنت هو المسيح، ابن الله الحيّ»، إلا أن تصرفاته لا تزال تتبع من عقل بشري، لا من وحي الروح. وهنا يشير الذهبي الفم إلى أن معرفة البنوة الإلهية لا تكتمل بمجرد

الإقرار اللفظي، بل تُثبِت بالسلوك المطابق لها. فكيف يليق بمن أُعطي مفاتيح ملكوت السماوات، أن يتصرّف كمن لم يخلع بعد ثوب الصياد؟! «ها أنت، وللمرة الثالثة، تُقاوم مشيئة المخلص، دون أن تعلم ما تقول.

لقد قال لك: «ينبغي أن أتألم»، وأنت قلت: «حاشا لك أن يكون هذا».

وقال: «كلكم ستشكّون في»، وأنت قلت: «وإن شكّ الجميع، فأنا لن أشك».

وها أنت الآن تريد أن تُقيم خيمةً للمسيح، **ذاك الذي، معي، أسس الأرض، («معي» = المسيح «مع الآب»، في شركة جوهرية أزلية).** **ذاك الذي، معي،** جمع الكُتَل المائية وخلق منها البحر، **ذاك الذي، معي،** ثبت السماء، وأشعل في الأثير نارا، **ذاك الذي، معي،** صنع كلّ ما خلُق قبل الخليقة المنظورة.

خيمة لذاك الذي وُلِدَ مِنِّي؟

خيمة لذاك الذي يسكن فيّ وفيكم؟

خيمة لآدم، الذي لا أب له؟

خيمة لله، الذي لا أمّ له؟

خيمة لذاك الذي جعل له مسكنا مختارًا: رحم العذراء النقية؟ لأتلك تريد أن تصنع ثلاث خيام، وأنت تجهل ما تقول، فها أنا قد جعلتُ سحابة نيرة **خيمةً**.

هكذا أخفيتُ الحاضرين، وقلتُ بصوتٍ عظيم: «هذا هو ابني الحبيب، الذي به سررت. ليس موسى ولا إيليا، بل هو. لا ذاك، ولا الآخر، بل هو وحده، هو بعينه، هو مختاري: له اسمعوا!».

ملحوظة توضيحية: «في هذه الذروة العظيمة، يُبرز القديس يوحنا الذهبي الفم إعلان الله الآب بقوة:

لا مساواة بين الابن وأبّي نبي، حتى وإن كان عظيمًا كموسى أو إيليا.

فالابن هو المختار، هو الواحد، المولود من الآب قبل كل الدهور، الذي سكن في البتول، وأخذ جسدًا، وحلّ بيننا. وحده هو المستحق أن يُصغى إليه.

الذهبي الفم، بأسلوبه اللاهوتي البلاغي، يُوقظ قلب المؤمن من أن يضع المسيح في مصاف الأنبياء، ويدّكره أن يسوع هو الله المتجسد، لا نبيًا بين الأنبياء، بل ربّ المجد الظاهر في الجسد.»

لقد جعلتُ موسى بارًا، أمّا هذا **(الابن)**، فقد وجدته موضع سروري التام.

إيليا أخذته من الأرض، أمّا هذا فأرسلته من العذراء إلى السماء عينها.

لأنّ أحدًا، كما يقول المسيح، لم يصعد إلى السماء، إلا ذاك الذي نزل من السماء.

من هناك، إذًا، تمّ نزوله إلى الأرض، ومن هناك خرج من ذاته، آخذًا صورة عبد.

فإن لم يبقَ كما هو، بل صار كما نحن تمامًا، وإن لم يحتمل الصليب لأجلنا في هيئة بشرية، وإن لم يفتد العالم بدمه، فعندئذٍ لا يكون

التدبير الإلهي قد تمّ، وتبقى أقوال الأنبياء في الأزمنة القديمة مجرد كلمات غير مؤكدة.

لكن، توقّف يا بطرس، ولا تفكّر بالأمر التي تخصّ البشر، بل بما يليق بالله. ولأنّ هذا هو ابني الحبيب، الذي به سررت كلّ السرور.

له اسمعوا. فإنّي قد عبّرتُ بصوتٍ عن هذا مرتين: مرةً وأنتم حاضرون على هذا الجبل، وأخرى حين كان يوحنا حاضرًا عند نهر الأردن.»

«هذا الصوت هو ما أعلنه حقًا النبي القديم (داود)، حين هتف بصوت عظيم قائلاً: «تفرح جبل تابور وجبل حرمون باسمك».

أيّ اسم هذا؟ «هذا هو ابني الحبيب».

لأنّه وهبه اسمًا أعظم من كلّ اسم.

لكن، لا بدّ أنك ستسأل، يا صديقي الحبيب: ما معنى: «تابور و حرمون يتهجان باسمك»؟

فلتعلّمه، إذًا، واطبعه في فكري:

جبل تابور هو الجبل الذي شاء المسيح أن يتجلّى عليه، وهناك شهد الآب عنه أنه هو ابنه، كما سمعتم منذ قليل.

أما جبل حرمون الصغير، فهو من أرض الأردن، ومن هناك صعد إيليا إلى السماء، وبالقرب منه، في مياه الأردن الجارية، رغب المسيح أن يعتمد، وهناك أيضًا شهد الآب عنه أنه هو ابنه.

في هذين الجبلين، أكّد الآب القدوس الطاهر بنبوة ابنه، وفي كلتا سرّرت، فله اسمعوا!».

لأنّ من يسمع له، يسمع لي أيضًا. ومن يستحيي به وبكلامه، أستحيي به أنا أيضًا، حين أظهر في مجدي مع الملائكة القديسين.

له اسمعوا، بلا تصنّع، بلا شرّ، بلا فضول، بل بالإيمان اطلبوه، لا أن تُحاولوا بُعث لغوي أن تُحدّدوا مقاييس عظمته، بل بالإيمان تقدّموا نحو ما يتجاوز المنطق، لا أن تُجربوا بكلماتكم أن تقيسوا مقياس **الكلمة (اللوغوس)**.

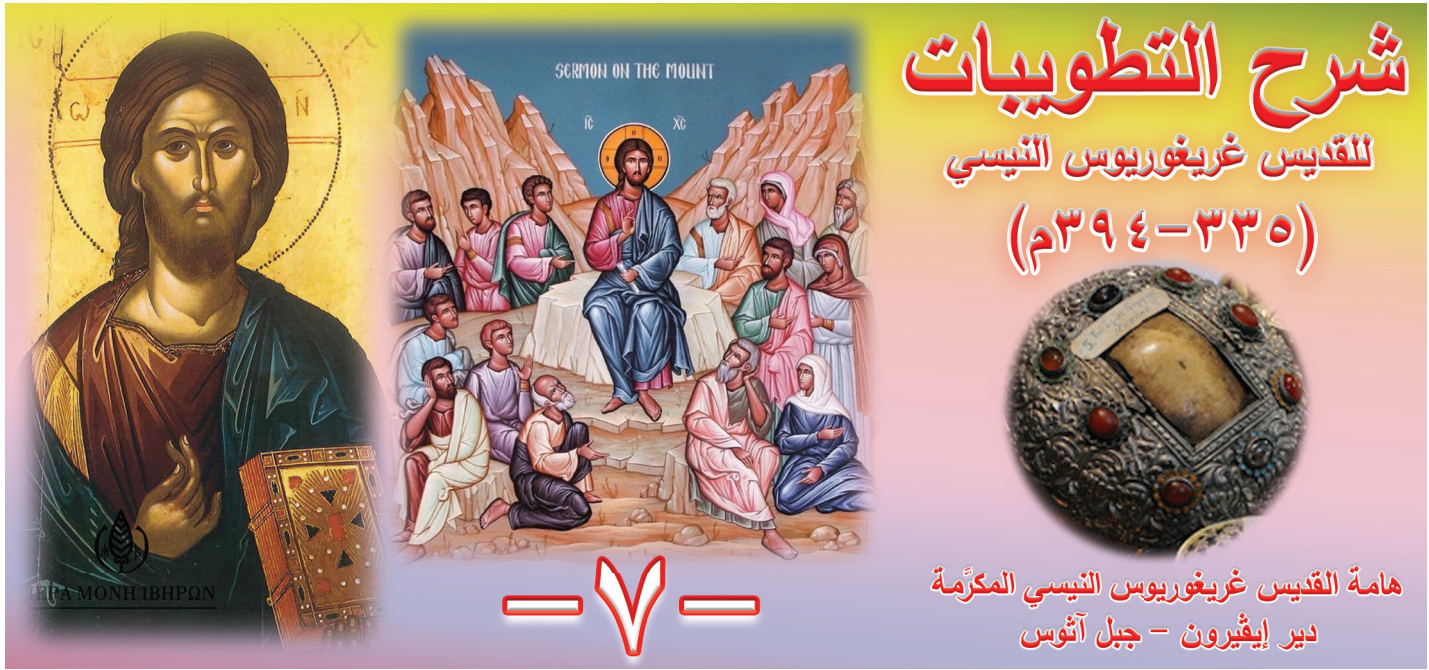
فها هو بولس، الخطيب البار، يكبح جماح العقل الفضولي، ويُعلّم الكلّ دون خوف، ويصرخ عاليًا: «يَا لَعْمَقِ غَيِّ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامُهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِفْصَاءِ!». **(رومية ١١: ٣٣).**

ملحوظة توضيحية: يختم القديس يوحنا الذهبي الفم هذه العظة بدعوة حاسمة: «آمنوا، لا تُجادلوا». وهو يُحدّر من محاولة إدراك المسيح بعقل بشري محدود، كما لو كنا نحاول أن نُحدّد ما لا يُحدّد. ويُشبهه من يسلك هذا الطريق بـ «الإنسان الفضولي»، الذي يطمع إلى اقتحام أسرار الله دون خشوع.

بل يرى أن بولس نفسه، على عمق معرفته، قد وضع حدًا للتأمل، واقتبس الذهبي الفم من رومية ١١: ٣٣ ليعلن أن الفهم الحقيقي لا يقوم على البرهان العقلي، بل على الإيمان المتواضع والتسليم الصادق.

وهنا تصدّق كلمة النبي إشعياء: «إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا، فَلَنْ تَفْهَمُوا» **(أشعياء ٩: ٧ سبعينية)** - فالفهم الروحي لا يُعطى إلا لمن يسير في درب الثقة والطاعة.

"له المجد في الدهور التي لا تنتهي. آمين."



وسفر الجامعة يُكرّر نفس النصيحة، قائلاً: «لا تستعجل فمك، ولا يسرع قلبك إلى نطق كلام قدام الله، لأن الله في السماوات، وأنت على الأرض» (جامعة ٥: ٢). وهو بذلك يُظهر سمو الطبيعة الإلهية وتفوقها على كل الأفكار الأرضية. ومع ذلك، فإن الإنسان بصير قريباً من هذا الجلال العظيم الذي لا يمكن رؤيته أو سماعه، ويقبله إله الكون ابناً له.

فكيف يمكن للمرء أن يُقدّم شكرًا يليق بهذه العطية؟ وبأي كلمات وأي أفكار يمكننا أن نمدح فيض النعمة هذه؟ لأنه إن كان الإنسان قد جعل مستحقاً أن يصبح ابناً لله، فهو سيملك في ذاته كرامة الآب، ويصبح وارثاً لكل خيرات الآب. فالله يفتح يديه بسخاء لكي يمنحنا كنوزه التي لا توصف! فمحبته للإنسان، يُعيد لطبيعتنا - التي أهانتها الخطيئة - كرامة تُقارب كرامته. إذاً، فعظيم هو ثواب الصراخ.

ما هو هذا الصراخ؟

ولكن، ما هو هذا الصراخ؟ يقول الرب: إن كنت صانعاً سلاماً، فسكلكل بنعمة التبي كائن. فليدو لي أن العمل الذي يُوعَد له بثواب عظيم بهذا المقدار، إنما هو بذاته عطية. لأنه أي الأشياء التي يشتهيها البشر أحلى من حياة سلامية؟! حتى لو افترضنا أن الإنسان لديه كل ما يُعتبر عزيزاً في هذه الحياة: ثروة، وصحة، وزوجة، وأبناء، وبيت...

فكل ما هو مُسر، ولكن بدون بركة السلام، ماذا تكون قيمته إذا أنهت الحرب مُنتعته؟ إذن، فالسلام مُنتعته حلو، وهو يجعل كل ما هو عزيز في الحياة حلو. إن المحنة العامة هي أعظم من أسباب الألم الفردية. والأطباء يخبروننا عن شيء مشابه في حالة الأمراض الجسدية. فإذا اتفق وجود مريضين في جسد واحد، فإن الأقوى فيهما هو ما يشعر به المرء، في حين أن الألم الذي يسببه المرض الآخر يبقى كامناً طالما تغشاه الإصابة بالمرض الأكثر قسوة.

وهكذا أيضاً فإن شؤر الحرب الأكثر حدة تجعل الأفراد فاقدي الشعور بكنبتهم. ولكن إذا أصبحت النفس فاقدة الشعور بعض

† «طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون.» (مت ٩: ٥) (١)

هذا التطوب هو قدس الأقداس:

فإن خيمة الاجتماع المقدسة، التي صنعها موسى النبي، وكل ما في قسمها الأول المعروف بـ «القدس»، كان طاهراً ومقدساً؛ ولكن الجزء الأعظم، الذي لا يدخله إلا رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة، كان يُدعى قدس الأقداس. وأظن أن هذه التسمية المشددة تُظهر أن قداسه لم تكن كمثال بقية الأجزاء، بل هو أقدس منها كلها. وهكذا أيضاً اعتقد أن الأمر يُطابق حالة التطويبات التي قيلت على الجبل. فإن كل ما وضعه الكلمة الإلهي مُقدس بكنيته، ولكن هذا التطوب بالذات هو قدس الأقداس، لأنه إن كانت بركة رؤية الله لا يمكن أن يتفوق عليها، فإن صيرورة الإنسان ابناً لله تفوق حتى ما كان عليه الإنسان في نعيم الفردوس.

فماذا يعني هذا التطوب؟ وأي مصطلحات تكفي للتعبير عن عطية هذا الوعد العظيم؟ فإذا سميت ما يعيد به هذا التطوب صالحاً أو مجيداً أو سامياً، فإن ما جعل معروفاً هو أمر أسمى مما تعنيه هذه الأوصاف. فهذا التطوب هو تحقيق يفوق الصلاة، وعطية تفوق الرجاء، ونعمة تسمو فوق الطبيعة. فماذا يكون الإنسان بالمقارنة مع الطبيعة الإلهية؟ وأي كلام مُقدس أقتبس لإثبات أن للطبيعة البشرية بعض الامتياز؟ فالطبيعة البشرية، حسب رأي إبراهيم، هي تراب ورماد (تكوين ١٨: ٢٧)؛ وحسب رأي إشعياء النبي، هي عُشب (إشعياء ٤٠: ٦)؛ وسفر الجامعة يقول: هي باطلة (جامعة ١: ٢)؛ وبولس الرسول يقول: هي سِفْط (١ كورنثوس ١٥: ٨).

ولكن، ماذا يكون الله؟ وبأي كلام أُعبر عن طبيعته؟ وبأي شيء نُشبهه؟ «من كالمِكَمِّه المياه، وقاس السماوات بالشَّير، وكالم الكيل تُراب الأرض» (إشعياء ٤٠: ١٢)؟ «فبمن نُشبهونني فأساويه؟ يقول القدوس» (إشعياء ٤٠: ٢٥).

الشَّيْءِ حَتَّى بِمَصَائِبِهَا، لِأَنَّ شُرُورَ الْحَرْبِ الشَّائِعَةَ تَكُونُ قَدْ أَفْرَعَتْهَا؛ فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يُشَمَّ مِنْهَا مَا هُوَ مُبْهِرٌ؟ لِأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ جُيُوشٌ وَخُيُولٌ وَفُيُودٌ وَأَصْوَاتُ أَبْوَابٍ. وَيَكُونُ الْبَشَرُ بِلِبَاسِ الْمَعْرَكَةِ، وَمُدَجَّجِينَ بِالرَّمَاكِ، وَالْدُّرُوعُ تَطْنُ مَعًا، مُوجِبَةً بِالْخَوْفِ وَالْفَزَعِ.

تُوجَدُ مُوَاجَهَاتُ فَرْدِيَّةٍ وَنِزَاعَاتُ مُعَلَّفَةٍ وَصِ رَاعَاتُ بِاشْتِيَاكِ مُتَلَا حِمٍّ وَمَعَارِكُ، حَيْثُ يُقْتَلُ الرَّجَالُ وَيَهْرُيُونَ وَيُطَارِدُونَ. هُنَاكَ نَوْحٌ مُفْعَمٌ بِالضَّجِيجِ، إِذْ تَكُونُ الْأَرْضُ مُخْضَبَةً بِالْدمَاءِ، وَيُدَاسُ الْمَوْتَى بِالْأَقْدَامِ، وَالْمَحْرُوحُونَ يُنْبَدُونَ، بِالإِضَافَةِ إِلَى جَمِيعِ الْفَضَاعَاتِ الْمُرِيعَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْحَرْبِ.

محبة الله للإنسان:

هَلْ يُمَكِّنُ لِإِنْسَانٍ مُنْهَمِكٍ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْأُمُورِ أَنْ يَلْتَفِتَ لِأَيِّ ذِكْرَى مُفْرَحَةٍ؟ وَحَتَّى إِذَا كَانَ أَحْيَانًا يَتَسَلَّلُ فِكْرُ أَمْرِ مُحِبٍّ إِلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ فِي الْحَالِ يَتَذَكَّرُ أَنَّ أَفْكَارَهُ الْعَزِيزَةَ لَدَيْهِ هِيَ فِي خَطَرٍ! فَعِنْدَمَا يُكَافِئُكَ اللَّهُ إِذَا انْتَبَعَدْتَ عَنْ شُرُورِ الْحَرْبِ، فَهُوَ يُمْنِحُكَ عَطِيَّةً مُضَاعَفَةً. لِأَنَّ إِحْدَى الْعَطَايَا هِيَ الْمُكَافَأَةُ عَلَى الْكِفَاحِ، وَالْأُخْرَى هِيَ الْكِفَاحُ ذَاتُهُ. إِذَنْ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُوعِدِ الْإِنْسَانُ بَرَجَاءٍ أَكْثَرَ، فَإِنَّ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَدَيْهِمْ شُعُورٌ، يُمْنِحُونَ سَلَامًا مِنْ أَجْلِهِ يَقُوقُ كُلَّ شَيْءٍ آخَرَ.

بِذَلِكَ يُمَكِّنُ رُؤْيَاهُ كَمْ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْإِنْسَانَ حَتَّى إِنَّهُ يُمْنِحُ الْمُكَافَأَةَ النَّمِيَّةَ، لَيْسَ عَلَى الْأَلَامِ وَالْعَرَقِ، وَلَكِنْ عَلَى التَّمَتُّعِ بِالسَّعَادَةِ. إِنَّ السَّلَامَ هُوَ بِالتَّأَكِيدِ أَعْظَمُ الْأُمُورِ الَّتِي تَمْنَحُ فَرَحًا، وَهَذَا هُوَ مَا يَرْغَبُ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ مَنَّا بِمَقْدَارٍ يَجْعَلُهُ يَحْتَفِظُ بِهِ، لَيْسَ لِنَفْسِهِ فَقَطْ، بَلْ لِكَيْ يُمَكِّنَهُ أَنْ يُورَعَ مِنْ فَيْضِ وَفَرْتِهِ لِآخَرِينَ أَيْضًا. إِنَّهُ يَقُولُ: «طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ». فَصَانِعُ السَّلَامِ هُوَ الَّذِي يُمْنِحُ سَلَامًا لغيره؛ وَلَكِنْ فَاقِدُ الشَّيْءِ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُعْطِيَهُ لغيره. وَمِنْ نَمٍّ، فَإِنَّ الرَّبَّ يُرِيدُ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ ذَاتُكَ أَوَّلًا مُتَمِلِّيًا بِبَرَكَاتِ السَّلَامِ، ثُمَّ تَنْفِلُهُ لِأَوْلَئِكَ الْمُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ. إِنَّ الْمَعْنَى الْوَاضِحَ لِهَذِهِ الْآيَةِ، هُوَ أَنَّ كُلَّ مَا نَحْتَاجُهُ هُوَ أَنْ نَكْتَسِبَ هَذَا السَّلَامَ الْعَجِيبَ.

ما هو السلام؟

وَلَكِنْ دَعْنَا نُفَكِّرُ أَوَّلًا فِي مَا هُوَ السَّلَامُ! إِنَّهُ بِالتَّأَكِيدِ لَيْسَ سِوَى الْمَبْلِ بِمَحَبَّةٍ نَحْوِ الْقَرِيبِ. وَمَا هُوَ الَّذِي يُعْتَبَرُ عَكْسَ الْمَحَبَّةِ؟ إِنَّهُ الْحَقْدُ وَالْغَضَبُ وَالْحَسَدُ، هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الْاسْتِيَاءِ وَالرَّيَاءِ وَنَكْبَةِ الْحَرْبِ. أَتَرَى كَيْفَ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ (أَيَّ السَّلَامِ) تَكُونُ تَرْيَاقًا لِعِدَّةِ أَمْرَاضٍ؟

لِأَنَّ السَّلَامَ يُقَاوِمُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِمَّا الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَيَمْحُو بِوُجُودِهِ تِلْكَ الشُّرُورَ، وَذَلِكَ كَمَا يَتَلَاشَى الْمَرَضُ عِنْدَمَا تَتَّبَعُهُ الصَّحَّةُ؛ وَهَكَذَا أَيْضًا عِنْدَمَا يَظْهَرُ السَّلَامُ تَزُولُ كُلُّ الْأَوْجَاعِ الْمُتَّصِلَةِ بِمَا هُوَ عَكْسُ السَّلَامِ.

ويمكنك أن تُفَكِّرَ فِي أَيِّ نَوْعٍ مِنَ الْحَيَاةِ يَعِيشُهَا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُعَامِلُونَ

بعضهم بعضًا بحسدٍ وحقد. إِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ تَسُودَ عَلَيْكَ نِعْمَةُ السَّلَامِ، حَتَّى تَشْفِي حَيَاتِكَ الْآخَرِينَ مِنَ الْمَرَضِ. وَمَنْ يُمْكِنُهُ أَنْ يُعَدِّدَ بِالتَّفْصِيلِ كُلَّ الشُّرُورِ الَّتِي تَتَأَتَّى مِنَ الْغَضَبِ؟ لِذَلِكَ فَإِنَّ الشَّخْصَ الَّذِي يَمْنَحُ هَذَا الْحِزْيَ، يُعْتَبَرُ حَقًّا مُبَارَكًا، وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَمَ بِسَبَبِ هَذَا الْفِعْلِ النَافِعِ.

وَيَقْدِرُ مَا تَفُوقُ النَفْسُ عَلَى الْجَسَدِ، يَكُونُ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَشْفِي النَفُوسَ مُكْرَمًا أَكْثَرَ مِنَ الَّذِينَ يَشْفُونَ الْأَجْسَادَ. لِهَذَا السَّبَبِ يَدْعُو الرَّبُّ صَانِعَ السَّلَامِ ابْنًا لِلَّهِ، لِأَنَّهُ يَتَشَبَّهُ بِالْإِلَهِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يَمْنَحُ الْحَيَاةَ الْبَشَرِيَّةَ هَذِهِ الْبَرَكَاتِ.

من هم صانعو السلام؟

فَمَنْ هُمْ صَانِعُو السَّلَامِ؟ هُمْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَتَشَبَّهُونَ بِالْحَبَّةِ الْإِلَهِيَّةِ لِلْبَشَرِ، وَالَّذِينَ يُظْهِرُونَ فِي حَيَاتِهِمْ مِيزَةَ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ. إِنَّ الرَّبَّ مُعْطِي الْخَيْرَاتِ، يُطِيلُ تَمَامًا أَيَّ شَيْءٍ لَيْسَ لَهُ صِلَةٌ بِالصَّلَاحِ، وَغَرِيبٌ عَنْهُ.

وهكذا أَنْتَ يَنْبَغِي أَنْ تَطْرُدَ الْحِقْدَ، وَتُبْطِلَ الْحَرْبَ، وَتُبِيدَ الْحَسَدَ، وَتَتَخَلَّصَ مِنَ الصَّرْعِ، وَأَنْ تَتَنَزَّعَ الرِّبَا، وَتُجَمِّدَ مِنَ الدَّاحِلِ الْاسْتِيَاءَ مِنَ الْأَضْرَارِ الَّتِي تَكْمُنُ فِي الْقَلْبِ.

إِنَّ النُّورَ يَتَّبِعُ انْفِشَاعَ الظُّلْمَةِ؛ وَهَكَذَا أَيْضًا تِلْكَ الشُّرُورُ تَحُلُّ مَكَانَهَا نِجَارُ الرُّوحِ: الْمَحَبَّةُ وَالْفَرَحُ وَالسَّلَامُ وَاللُّطْفُ وَالشَّهَامَةُ (انْظُرْ غَل ٥: ٢٢)، أَيَّ كُلِّ الصَّالِحَاتِ الَّتِي عَدَّدَهَا الرَّسُولُ (بُولُس).

فَكَيْفَ، إِذَنْ، لَا يَكُونُ مُورَعُ الْعَطَايَا الْإِلَهِيَّةِ مُبَارَكًا، طَالَمَا أَنَّهُ يَتَشَبَّهُ بِعَطَايَا اللَّهِ، وَيُشْكَلُ أَعْمَالُهُ الصَّالِحَةَ حَسَبَ الْجُودِ الْإِلَهِيِّ؟

إِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يُدْعَى صَانِعَ سَلَامٍ، بِشَكْلِ مُتَمَازٍ، إِذَا كَانَ يُهْدِي تَمَامًا التَّنَافُرَ بَيْنَ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ فِي ذَاتِهِ، وَالْحَرْبِ الَّتِي تَلَازِمُ الطَّبِيعَةَ، حَتَّى لَا يُجَارِبَ نَامُوسَ الْجَسَدِ بَعْدَ نَامُوسِ الدَّهْنِ. (فَصَانِعُ السَّلَامِ) يَكُونُ خَاضِعًا لِلنَّامُوسِ الْأَعْلَى، وَيُصْبِحُ خَادِمًا لِلنَّامُوسِ الْإِلَهِيِّ.

فَيَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ عَلَى دِرَايَةٍ بِالْفِكْرِ الَّذِي يَعْتَبَرُ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ مُزْدَوِجَةً، لِأَنَّ الْكَلِمَةَ (الْإِلَهِيَّ) تُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ؛ فَعِنْدَمَا يُنْتَرَعُ حَائِطُ الشَّرِّ الَّذِي يَعْتَزُّ سَبِيلَنَا، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يُصْبِحُ وَاحِدًا وَمُنْدَجِجًا، لِأَنَّ كِلَا مِنْهُمَا يَكُونُ مُتَّحِدًا بِالصَّلَاحِ.

وَحِينَئِذٍ إِنَّهُ يُعْتَقَدُ أَنَّ اللَّاهُوتَ لَيْسَ مُرَكَّبًا بَلْ هُوَ بَسِيطٌ؛ هَكَذَا تَكُونُ أَيْضًا الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةُ الصَّانِعَةُ سَلَامًا أَيْضًا، عِنْدَمَا تَتَجَاوَزُ تَرْكِيبَهَا الْمُزْدَوِجَ (نَفْسًا وَجَسَدًا)؛ فَهِيَ تَرْجِعُ بِالْكَامِلِ إِلَى الصَّلَاحِ، وَتُصْبِحُ بَسِيطَةً وَخَالِيَةً مِنَ الْخِدَاعِ.

فَالَّذِي يَكُونُ ظَاهِرًا هُوَ مِثْلُ مَا هُوَ خَفِيٌّ. وَمَا هُوَ خَفِيٌّ يَكُونُ مِثْلُ الظَّاهِرِ. وَحِينَئِذٍ يَكُونُ التَّطَوُّبُ حَقِيقِيًّا، لِأَنَّ النَّاسَ يُدْعَوْنَ حَقًّا أَبْنَاءَ اللَّهِ، طَالَمَا أَنَّهُمْ يَكُونُونَ مُطَوِّبِينَ حَسَبَ وَعْدِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ.

(١) مُترجم من كتاب:

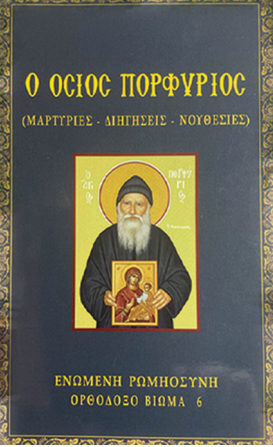
Ancient Christian Writers, Vol. 18, p. 85.

القديس پورفيرىوس الرأى (32)

كافسوكاليفيا
جبل آتوس - اليونان

شهادات، روايات، وتعاليم

جمعية نور المسيح



١١ - تأسيس الهدوء

شهادة السيد جورجىوس أرفانيثيس:

وفي أحد الأيام، كنا نتمشى في المنطقة، فصادفنا شخصاً في قطعة أرض، يبيع الخيم. فاشترينا خيمتين: واحدة للشيخ، وواحدة لي. الأولى وضعناها فوق سطح السيارة، أما الثانية فكانت ثقيلة، ولم يعجبه تصميمها، فتركناها.

دفع الشيخ ثمنها، على أن يأخذها في اليوم التالي. في اليوم التالي، عاد الشيخ ولم يجد البائع. لكن بنعمة الله، وبواسطة رؤيا، استطاع أن يجده. اقترب منه وقال له ببساطة: «الخيمة».

- ألم تأت لتأخذها وبيعها؟

- نعم، إذا أعطني النقود.

- لقد أنفقتها الآن.

« وهكذا بقي من دون خيمة واضطرَّ الشيخ أن يشتري بيتاً متنقلاً (كرفان)، لا يزال موجوداً حتى الآن. »

كان الشيخ يملك معرفة طبيّة، ليس فقط نتيجة دراسة وتجربة، بل أيضاً من استنارة إلهية. كان يعلم أن الارتفاع عن سطح البحر مفيداً للقلب، لكن له أيضاً تأثيرات صحيّة أخرى. روى لي أن كاهناً من منطقة أوروبوس صعد إلى قريته في الجبل، وعاد متورّد الوجه ومفعماً بالنشاط، لكنّه مات بعد شهر، لأنّ الانتقال من المرتفعات إلى المنخفضات له تأثيرات مختلفة على الجسم. ولهذا السبب، بعد فيضان كاليشيا، لم يعد الشيخ يذهب إلى هناك. كان قد اشتري أيضاً مقياس ضغط الجو الذي يحدّد الارتفاع بشكل غير مباشر.

وصلنا هنا (إلى ميليسي)، الشيخ نقل الكرفان، وأنا نصبْتُ الخيمة، وقضينا وقتاً رائعاً. أحببْتُ الحياة الطبيعيّة، أحببْتُ أن أعيش في الهواء الطلق، وأحببْتُ الشيخ كإنسان، لكن لم أكن أعلم بعد من هو حقاً الشيخ.

الشيخ، في تواضعه، لم يفكر في البداية ببناء دير كبير. فكّر أن يهَيئ مكاناً لأرواح قليلة تبعته: أخته خاريكليا، ابنة أخته التي هي اليوم «الجيرونديسا» (الرئيسة الروحية)، فيلوثي، بينيلوب، إيسيدورا... كنّ ثنائي نفوس - فبنى لمنّ مبنى من ثماني غرف. وعندما انتهينا، رأينا أن المطبخ صغير بعض الشيء، فأنشأنا أو أضفنا إضافة صغيرة، وبعدها قلنا للنشئ قاعة طعام، وكانت فكرة غريبة - لا أعلم من أين أتت الفكرة - لكنها أصبحت كبيرة وتتنسح لحوالي ٢٠٠ شخص. بعد ذلك، أراد الشيخ أن يبني كنيسة. فأخذ إذناً من المطران، وبني معبداً صغيراً خشبياً، لكنه لم يُستخدم أبداً في الخدمة الإلهية. كنّا نقيم فيه فقط صلوات الباراكليسي، ولكن لم نُقم فيه أيّة قدّاسات. ثم لاحقاً تمّ نقله (لأنّه كان متنقلاً، رفعه الرفاعة ونقلوه حيثما أرادوا). في النهاية، قيل للشيخ أن يرفع تقريراً إلى رئيس أساقفة أثينا، لأنّ الدير، رغم أنّه يقع ضمن حدود مطرانيّة أتيكي، كان مقرّه في أثينا، وقد اشترى هذه الأراضي باسم النساء. قال لأحد المعماريين أن يصمّم له نموذجاً لكنيسة على الورق تتسع لحوالي ١٠٠ شخص. كنت قد وضعت النموذج في خيمتي، وفي إحدى الليالي قبل عيد الفصح، هبّت ريح قويّة فجأة، فحملت النموذج وقذفته على بُعد ٢٠٠ متر. فقال له أحد المطارنة، سيادة المطران بروكوبيوس مطران كيفالونيا، للشيخ: «ماذا تفعل هنا؟ لا تُنشئ كنيسة صغيرة، لأنّ كلّ الأديرة المحيطة بأثينا يهدمون الكنائس الصغيرة، ويُقيمون كنائس كبيرة، يُكبّرونها. ابن واحدة كبيرة». ثمّ أرسلني إلى تسالونيك، وقال لي: «استأجر سيارة، واذهب إلى سوروتي، إلى أورميليّا، إلى دير التجلّي عند الأب غريغوريوس، واسألهم إن كانوا سيبنون كنيستهم اليوم، كيف كانوا سينوونها؟» وكان جوابهم الأوّل: «أكبر». كلّهم قالوا: «أكبر». رجعت وأخبرت الشيخ، فبدأوا بنائها. فعدتُ وأخبرتُ الشيخ، وقال للمهندسين المعماريين: «خطّطُ أخرى، من البداية، لتبني كنيسة كبيرة». وهكذا أصبح

الهيكل كبيراً.

بهدوء. حتى الآن لم يتم تفعيل هذه الرؤية الخاصة **بالشيخ**، ولا أعلم ماذا سيمنح الربّ.

عدد المصليات (الكنايس الصغيرة) هو ١٣. والدير ليس كبيراً. أما الهيكل الرئيسي فهو كبير. والدير بأكمله مبنيّ بمنطق الخط المستقيم، حيث تكون كل الغرف مواجهة للجنوب.

في نهاية المبنى، المهندس الذي وضع التصميم الأول، صمّم المبنى ليدور هكذا، ويصنع زاوية. لكنّ **الشيخ** قال له أن يجعله مستقيماً، لأنّ ذلك سيلقي ظلاً على ذاك، ولم يكن يرغب في وجود غرفة واحدة لا تصلها الشمس بالكامل.

وبعد أولى الراهبات الثماني، لم تأتِ إلا قلة لاحقاً. لم يرغب **الشيخ** في تكوين جماعة «بورفيرية» (Πορφύριακή ομάδα)، أي مجموعة من الراهبات تُنسب إليه وتشكّل تياراً روحياً خاصاً به. بل كان يُرسل كلّ واحدة إلى حيث تجد راحةً لنفسها، ولم يكن يهتم بأعداد من يتبعونه. ومع ذلك، بالنسبة للفكر البشري، فمن الصعب فهم كيف أنّ **الشيخ** لم يُبدِ اهتماماً بتأسيس جماعة روحية خاصة تُنسب إليه».

أما بالنسبة للطوابق السفلية، فكان في المخطط أن يحتوي على طابق واحد، لكن عندما بدأنا الحفر وجاء المهندسون، رأوا أن الجرافة كانت قد كشطت صخرة في الجهة الشمالية، وهناك كانت تنتهي الصخرة ويبدأ التراب. وبما أنهم خافوا من أن ينهار الهيكل إذا كانت تلك التربة رخوة، قالوا لنا أن نجري اختبارات حفر لتبيّن طبيعة الصخرة. فأجرينا تسع حفريات، وحددنا موقع الصخرة، ورأينا أن الصخرة كانت مائلة. فقال المهندسون:

«أزيلوا كل التراب فوق الصخرة، واملأوا الجزء العلوي المائل بالإسمنت والصخر، أو خذوا مطرقة وكسّروا الصخرة لكي تصلوا إلى نفس المستوى مع بقية الصخرة».

فاختارنا الحل الثاني لأنه أكثر توفيراً، وهكذا وُجد حفرة بعمق ١٢ مترًا. عندها قمنا بإعداد تصميم الطوابق السفلية، ووزّعنا المساحات، لتصبح مصلّيات، ومستودعات، ومساحات مساعدة أخرى.

وهكذا أنشئت ثلاثة طوابق سفلية. وكان الشيخ يريد طابقاً سفلياً معزولاً صوتياً، لكي يتمكن من التعليم، ومن ممارسة الصلاة الذهنية

القديس پورفيرىوس الكافسوكاليفي، وبدعة وهرطقة المسكونيّة

والباطل، وتُلغى الفروق الجوهرية بين الإيمان الحقيقي وغيره من العقائد، ما يؤدي إلى التشويش الروحي والابتعاد عن الخلاص الذي يتمسك به من خلال العقيدة المستقيمة **في المسيح**.

فبحسب **القديس پورفيرىوس**، أتى المسيح لكي يُخلّص العالم ويُعلن عن الحق الإلهي والطريق الوحيد للخلاص. لو كانت كل الأديان متساوية وقادرة على منح الخلاص، لما كانت هناك حاجة إلى مجيء المسيح وتجسّده وصلبه وقيامته. اختيار الناس لدين آخر يعني رفضاً للحقّ الذي أعلنه المسيح بنفسه حين قال: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي» (يوحنا ١٤: ٦). إذًا، فاختيار دين آخر يتناقض مع رسالة المسيح وعمله الفدائي، لأنّه جاء ليمنح البشر الخلاص الحقيقي، لا ليوحد مجرد خيار بين أديان متعددة.

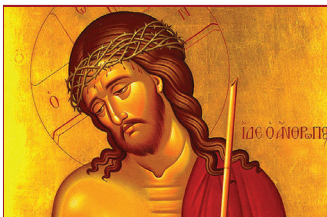
ويقول أستاذ العقيدة السيد ديميتريوس تسيلينغيديس في إحدى محاضراته: «سألت أشخاصاً كانوا قرييين منه، سألتهم: أنتم الذين عايشتموه، والذين كان يُقدِّركم كثيرًا، أنتم الذين ما زلتم ترون **القديس پورفيرىوس** في حياتكم، ألم يطرح عليه أحد هذا السؤال: ما هي المسكونيّة؟ أجابوني:

سيدي الأستاذ، كيف لم يُطرح؟ بالطبع سأله وأجابنا قائلاً: «إنها أمورٌ قدرة، ونجاسة روحية».

كان لدى القديس روحٌ اعترافية أصيلة، ويتضح ذلك أيضًا في تسجيلات صوتية تُسمع فيها صوته وهو يتحدث مع أبنائه الروحيين. نُورد فيما يلي تفریعاً لبعض منها:

«الآن، مع ذلك، فإن العالم كله، بمختلف العقليات، أناس كبار وصغار، الذين لا يؤمنون حتى بوجود الله، يرون أنه لا ينبغي أن توجد أديان كثيرة، لأنها تفرّق بين الناس وتجلب العداوة بينهم. والجميع يسعون، الصغار والكبار والدول وكل هذه الجهات، لإيجاد دين واحد! وهذا سيتم بطريقة ما: أن جميع الأديان متساوية، وننشئ ديناً جديداً، هذا ما يقوم به الصهاينة، وهم يعملون مجدّ كبير من أجل ذلك، حتى يُنشئ الناس ديناً جديداً جيّداً، ويتركوا فكرة أن هناك جحيمًا وأن هناك شيطانًا وما شابه ذلك... أنا بالطبع لا أريد منكم أن تنشروا فيما بينكم وتقولوا إن جميع الأديان واحدة، ولا فرق بينها، «كلها من الله»، تذهب إلى أي دين تشاء، وتعبد أي إله تشاء. أنا... لا... لا أريد هذه الأمور. لا أحتملها. روحي هكذا».

رفض **القديس پورفيرىوس** بدعة المسكونيّة لأنه رأى فيها خطرًا روحياً كبيراً، إذ اعتبرها محاولة لتوحيد الأديان على حساب الحقائق الإيمانية الأساسيّة، وتخلّيًا عن **العقيدة الأرثوذكسية الصحيحة**. وصفها بأنها «أمور قدرة ونجاسة روحية»، لأنها تقوم على التسوية بين الحقّ



القديس
پايسيسوس الآتوسي

المسكونيّة ليست محبة
وإنما خيانة للمسيح



ΠΕΜΠΤΟΥΣΙΑ

من موقع تُرجم

<https://www.pemptousia.gr/2020/08/egkomion-sti-kimisi-tis-theotokou-agios-ioannis-o-damaskinos/>

مديح

في رقاد والدة الإله

للقديس يوحنا الدمشقي

ولا تحترق (خر ٣: ٢)، رمزًا للعدراء التي حملت اللاهوت دون أن تحترق.
 + الألواح (πλάκες): ألواح الشريعة، صورة للعدراء التي حملت الكلمة.
 + تابوت العهد، الجرة، المنارة، المائدة، عصا هارون: كلها رموز كتابية في سفر الخروج والعدد ترمز إلى العدراء.
 + المن السماوي، النور الأبدي، الكلمة، خبز الحياة: رموز للمسيح الذي وُلد منها.

ألم تكن الأتون الذي كان يُخرج نارًا ويبرد في الوقت نفسه، ويُحرق أيضًا، رمزًا للنار الإلهية التي حلت فيك؟ كذت أنسى سُلّم يعقوب! أما تبدو للجميع أنه كان يُرمز إليك، وكان صورة لك؟ كما رأى يعقوب طرفي السُلّم يصلان السماء بالأرض، والملائكة يصعدون وينزلون عليها، هكذا أنت أيضًا وصلت ما كان قبلاً مُنفصلًا، إذ صرت في الوسط بين الله والناس، وصرت سُلّمًا لينزل الله إلينا، آخذًا حميرنا الضعيف ومُتّخذًا به، حتى جعل العقل البشري يُبصر الله!

ملاحظات لاهوتية:

+ الأتون (اي كامينوس) (ἡ κάμινος): إشارة إلى أتون النار الذي دخل إليه الفتية الثلاثة في سفر دانيال (الإصحاح ٣)، وكان يرمز إلى العدراء التي حل فيها نار اللاهوت ولم تحترق.
 + سُلّم يعقوب: مذكور في سفر التكوين (٢٨: ١٢)، وصار رمزًا لتجسد المسيح من مريم، إذ ربط بين السماء والأرض.
 + الخيمة الضعيفة (پروزيمي) (προζύμι): رمز للضعف البشري الذي اتحد به الله في شخص المسيح.

فإلى من نرجع أقوال الأنبياء وكراراتهم؟ إليك، إن أردنا أن نظهر أنها صادقة! فمن هو صوف الحمل الداودي، الذي نزل عليه كالْمَطَرِ اللَّابَنُ الإلهي، المُساوي للآب في الأزلية؟ ألسنت أنت بوضوح؟ ومن هي العدراء التي تنبت عنها إشعياء بالرؤيا، أنها ستحبل وتلد ابنًا، أي الله الذي معنا؟ وما هو الجبل الذي رآه دانيال، الذي قُطعت منه الحجرة بدون يد بشرية؟ فليأت النبي الإلهي حزقيال، وليرنا الباب المُغلق، الذي دخل منه الرب وحده، وبقي مغلقًا!

ملاحظات لاهوتية:

+ صوف الحمل الداودي (Δαυϊτικὸ μαλλὶ προβάτου):

ما هذا السرُّ العظيم الذي يجري حول شخصك، أيتها الأمُّ المُقدَّسة والعدراء؟ «مباركة أنت في النساء، ومبارك هو ثمره بطنك». ما دام هناك بشر، فسَيُطَوَّبُونَكَ، لأنك وحده مستحقة للتطويب! وما إن جميع الأجيال تطوبوك. قد رأيتك بنات أورشليم - أي الكنيسة - تطوبنك، ومجدتك الملكات - أي نفوس الأبرار - وسيسبحنك إلى الأبد. لأنك أنت العرش الملكي الذي تقف حوله الملائكة ناظرين إلى الملك والخالق جالسًا عليه. لقد صيرت فردوسًا عظيمًا، أقدس وألوهية من الفردوس القديم، إذ إن ذاك الفردوس سكنه آدم الأرضي، أما أنت فسكن فيك رب السماء. أنت التي رمزت إليها التائبون، لأنك ولدت المسيح، خلاص العالم، الذي أغرق الخطيئة وأسكت أمواجها.

ملاحظات لاهوتية:

+ بنات أورشليم = صورة للكنيسة: استخدام رمزي من نشيد الأنشاد.
 + الملكات = نفوس الأبرار: استعارة كتابية للنفوس الممجدة في السماء.
 + العرش الملكي = والدة الإله: صورة عميقة من اللاهوت الأرثوذكسي ترى مريم كمن جلس الرب في رحمها، كأنه على عرش.
 + عدن القديمة مقابل عدن العقلية الجديدة: يُقارن بين عدن التي طرد منها آدم، وعدن الجديدة التي سكن فيها الرب.
 + التابوت رمز العدراء: لأنه حمل كلمة الله المتجسد كما حمل التابوت الشريعة في القديم.

أنت التي رمزت إليها العليقة. أنت التي صورتك الألواح المنقوشة إلهيًا بصورة نبوية. لقد صورتك تابوت العهد، ورمزت إليك بوضوح الجرة الذهبية والمنارة والمائدة وعصا هارون التي أفرخت. منك أنبتت شجرة اللاهوت، المقياس والكلمة الأيتان من الآب، المن السماوي الخلق، الاسم الذي لا يوصف والذي يفوق كل الأسماء، النور الأبدي وغير المُفْتَرَب إليه، خبز الحياة السماوي، الثمرة التي لم تُزرع بل نبتت منك بجسد بشري.

ملاحظات لاهوتية:

+ العليقة (فاتوس) (βάτος): تشير إلى العليقة التي رآها موسى تلهب

يُرمز به إلى مريم التي حلَّ عليها الروح القدس كما نزل الندى على صوفة جعدون (قض ٦: ٣٧).

✦ العذراء التي تنبأ بها إشعياء (إش ٧: ١٤): نبوءة مباشرة عن ميلاد المسيح.
✦ جبل دانيال والحجر غير المنحوت (دا ٢: ٣٤-٣٥): صورة رمزية تشير إلى العذراء والمسيح المتجسد؛ إذ قُطع حجرٌ من جبلٍ بلا يدٍ إنسانية، فهكذا أيضًا حبلت العذراء من غير زرع بشري، وصار ذاك الحجر رأس الزاوية، مُبددًا ممالك الأرض ليقيم ملكوت الله الذي لا يزول.

✦ الباب المغلق في سفر حزقيال (٤٤: ١-٢): تفسير آباي تقليدي لبثولية مريم.

إِيَّاكَ، إِذَا، يُبَشِّرُ الْأَنْبِيَاءُ. إِيَّاكَ يَخْدُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَيَخْدُمُكَ الرَّسُلُ. وَفِي هَذَا الْيَوْمِ، عِنْدَمَا كُنْتَ تَنْتَقِلِينَ إِلَى أَيْبِكَ، أَحَاطَتْ بِكَ نُفُوسُ الصَّادِقِينَ وَالْبَطَارِكَةِ، وَالْجُمُوعُ الَّتِي لَا تُحْصَى مِنَ الْأَبَاءِ الْمُنِيرِينَ بِاللهِ، الَّذِينَ أَجْتَمَعُوا مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ كَأَنَّهُمْ فِي سَحَابَةٍ، يُرْتَلُونَ لَكَ الْأَنَاشِيدَ الْمُقَدَّسَةَ، أَنْتِ يَا نَبْعَ جَسَدِ الرَّبِّ الْمُخَيِّ، وَهُمْ مُتَفَيِّضُونَ بِالْمَشَاعِرِ الْإِلَهِيَّةِ.

ملاحظات لاهوتية:

✦ الأنبياء والملوك والرسل يخدمونها: تعبير عن السمو الفائق لمكانة والدة الإله.

✦ الانتقال إلى الابن: إشارة إلى رقاد العذراء وصعود نفسها إلى السماء.

✦ سحابة من القديسين (عبرانيين ١: ١٢): صورة كتابية يستخدمها الكتاب المقدس عن إحاطة القديسين.

✦ نبع الجسد المحيي: لقب لاهوتي للعذراء لأنها أعطت الجسد للمسيح، وبه صار لنا الخلاص.

آه! كَيْفَ يَنْتَقِلُ نَبْعُ الْحَيَاةِ إِلَى الْحَيَاةِ عِبْرَ الْمَوْتِ؟ كَيْفَ نُسَمِّي هَذَا السَّرَّ الْمُتَعَلِّقَ بِكَ؟ أَمْوَتَا؟! فَلَوْ أَنَّ نَفْسَكَ الْمُطَوَّبَةَ الْكُلِّيَّةَ الْقُدَّاسَةَ قَدِ انْفَصَلَتْ عَنْ جَسَدِكَ الطَّاهِرِ، وَوُضِعَ هَذَا الْجَسَدُ فِي الْقَبْرِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي الْمَوْتِ، وَلَا أَتَحَلَّ بِسَبَبِ الْفَسَادِ. كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ الْمُتَلَاثِلَةَ دَائِمًا، حِينَ تَغْطِيهَا لُيْزُهُ هَالِكَةُ الْقَمَرِ، يَبْدُو كَأَنَّهَا أَنْطَفَأَتْ وَأَنْتَصَرَ الظُّلَامُ، لَكِنَّهَا فِي حَقِيقَتِهَا لَمْ تَفْقِدْ نُورَهَا، بَلْ تَحْمِلُ فِي ذَاتِهَا نُبُوعَ الصِّيَاءِ. هَكَذَا أَنْتِ أَيْضًا، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَكْتَسَيْتِ جِسْمَانِيًّا بِالْمَوْتِ لِفَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ، فَإِنَّكَ تَقُورِينَ فَيَضًا صَافِيًا لَا يَنْقَطِعُ مِنْ يَنَابِيعِ النُّورِ الْإِلَهِيِّ وَالْحَيَاةِ الْخَالِدَةِ، وَتُخْرِجِينَ أَنْهَارَ نِعْمَةٍ وَيَنَابِيعَ شِفَاءٍ!

ملاحظات لاهوتية:

✦ «ينبوع الحياة ينتقل إلى الحياة عبر الموت»: تعبير جوهري في لاهوت رقاد العذراء يشير إلى أنها لم تذق فساد القبر.

✦ «كَأَنَّ الشَّمْسَ تَغْطِيهَا هَالِكَةُ الْقَمَرِ»: تشبيه بليغ لستر المجد مؤقتًا دون زواله.

✦ ينبوع النور الإلهي وأنهار الشفاء: تأكيد على فيض النعمة المنبعثة من جسد العذراء حتى بعد رقادها.

أَنْتِ أَزْهَرْتَ كَشَجَرَةٍ عَذْبَةٍ، وَتَمَرُكَ بَرَكَةً فِي أَفْوَاهِ الْمُؤْمِنِينَ! لِذَلِكَ، لَنْ أُسَمِّي أَنْتِ قَالِكَ الْمُقَدَّسَ مَوْتًا، بَلْ رُقَادًا، أَوْ رَحِيلًا، أَوْ سَكْنًا جَدِيدًا - إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُعَبِّرَ بِأَدَقٍّ - لِأَنَّكَ، فِي رَحِيلِكَ عَنْ مَسْكَنِ الْجَسَدِ، تَذْهَبِينَ لِتَسْكُنِي فِي الْأَفْضَلِ، عَنْ يَمِينِ عَرْشِ أَيْبِكَ!

ملاحظات لاهوتية:

✦ «أَنْتِ أَزْهَرْتَ كَشَجَرَةٍ»: استعارة كتابية تشير إلى العذراء كامرأة أزهرت

الحياة الإلهية في رحمها (راجع أش ١١: ١).

✦ «لَنْ أُسَمِّي مَوْتًا... بَلْ رُقَادًا»: تمييز آباي واضح بين الموت الجسدي ورقاد العذراء، الذي لا يُشبه موت البشر العادي.

✦ «الجلوس عن يمين العرش»: إشارة رمزية إلى تمجيد والدة الإله في السماء.

فَقَدْ صِرْتَ بَرَكَةً لِلْعَالَمِ كُلِّهِ، وَقُدْسًا لِلْكُونِ، وَرَاحَةً لِلْمُنْعَبِينَ، وَتَعَزِيَةً لِلْمُحْزَنِينَ، وَشِفَاءً لِلْمَرْضَى، وَمَلَجًا لِمَنْ تَضُرُّهُمْ الْأُمُوجُ، وَمَغْفِرَةً لِلْخُطَاةِ، وَتَعَزِيَةً لِلْمَكْرُوبِينَ، وَمَعُونَةً مُسْتَعِدَّةً لِكُلِّ مَنْ يَدْعُوكَ، وَبِدَايَةً وَوَسَطًا وَغَايَةً لِكُلِّ صَالِحٍ يَفُوقُ أَلْفَهُمْ.

ملاحظات لاهوتية:

✦ أسلوب التعداد المتصاعد: يُظهر الامتداد الشمولي لنعمة والدة الإله في حياة المؤمنين.

✦ كل جملة تحوي لقبًا عمليًا: كل جملة تحوي لقبًا عمليًا: (راحة - تعزية - شفاء - مغفرة...) يُبرز دورها الشفاعي والمُحِبِّ في التقليد الأرثوذكسي.

✦ عبارة: بداية ووسط ونهاية: تعبير لاهوتي مملوء دلالة على أنَّ مريم حاضرة في تدبير الخلاص من البدء إلى النهاية.

كَيْفَ اسْتَقْبَلَتْ السَّمَاءُ تِلْكَ الَّتِي صَارَتْ أَرْحَبَ مِنْهَا؟! وَكَيْفَ قَبِلَ الْقَبْرُ مَنْ حَوَتْ فِي أَحْشَائِهَا اللَّهَ؟! آه، يَا قَبْرًا مُقَدَّسًا، عَجِيبًا، جَلِيلًا، وَمُسْتَحَقًّا لِلسُّجُودِ، الَّذِي مَا زَالَ حَتَّى الْآنَ تَخْدُمُهُ الْمَلَائِكَةُ، حَاضِرِينَ بِأَخْتِرَامٍ وَخَوْفٍ، وَيَأْتِيهِ النَّاسُ بِالْإِيمَانِ، يُكْرِمُونَهُ، وَيَسْجُدُونَ لَهُ، وَيُقَبِّلُونَهُ بِالْعُيُونِ وَالشَّفَاهِ، وَيَأْسْتَبِقُونَ النَّفْسَ، يَسْتَفُونَ مِنْهُ كُنُوزَ الْخَيْرَاتِ!

ملاحظات لاهوتية:

✦ أرحب من السماء: تعبير آباي عن أن العذراء احتوت في بطنها من لا يُحَدُّ.

✦ القبر الذي لا يُداس: يعبر عن قدسية قبر والدة الإله، الذي صار محجًا روحياً وموضع نعمة.

✦ الملائكة والناس يخدمونه: إشارة إلى الإكرام المستمر من السمايين والأرضيين.

هَيَّا، إِذَا، لِنَسِرْ ذَهْنًا مَعًا، وَنَتَرَفَّعَ عَنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ مَعَ الْعَذَرَاءِ الْمُنْطَلِقَةِ مِنَ الْأَرْضِ. تَعَالَوْا، كُلُّكُمْ، بِأَسْتَبِقِ الْقَلْبِ، لِنَنْزِلَ مَعَهَا إِلَى الْقَبْرِ. لِنَقِفْ حَوْلَ سِرِّيْهَا الْأَقْدَسِ. لِنُرْتَلِ تَرَاتِيلَ مُقَدَّسَةٍ، قَائِلِينَ بِلَحْنٍ شَجِيٍّ: افرحي، أيتها الممتلئة نعمة، الرَّبُّ مَعَكَ.

اُفْرَحِي، أَيَّتُهَا التَّعَجُّةُ الَّتِي وَلَدَتْ حَمَلَ اللَّهِ.

افرحي، أَنْتِ الْأَسْمَى مِنَ الْقَوَاتِ السَّمَاوِيَّةِ.

اُفْرَحِي، أَيَّتُهَا الْأُمَةُ وَأُمُّ اللَّهِ. آمِينَ.

ملاحظات لاهوتية:

✦ السير الذهني مع العذراء: يرمز إلى المشاركة التأملية في رحيلها الجيد.

✦ الألقاب المريمية: مستوحاة من النصوص البيبلي (الكتاب المقدس) والليتورجية، وأبرزها: الممتلئة نعمة (لو ٢٨: ١).

✦ الحمل الذي ولدته: إشارة للمسيح حمل الله.

✦ التي فوق القوات: مقتبسة من الليتورجيا الأرثوذكسية.

✦ الأمة وأم الله: تعبير يجمع الاتضاع والحمد.





أم والدّة الإله

مع أنّها لا تُذكر في أيّ من أسفار العهد الجديد، إلا أنّ **القديسة حنة** تحتلّ مكانةً مرموقةً في تقوى الكنيسة الأرثوذكسيّة. فجميع المعلومات المتوفّرة عنها مُستقاة من الأناجيل المنحولة، ولا سيّما من «إنجيل يعقوب الأولي» وكتاب «عن طفولة المُخلّص». أما اسمها، «حنة»، فهو الصيغة المُهلّنة (أي اليونانيّة) للكلمة العبريّة «Hannah»، والتي تعني: **النعمة أو الرضا الإلهي**.

تحدّر **القديسة حنة، والدّة والدّة الإله الكليّة القداسة**، من سبط لاوي. وكان والدها كاهنًا يُدعى مَتان، وقد خدم الكهنوت في زمن حكم الملكة كليوباترا وملك الفرس سابور، واسم والدتها كان مريم.

الملكة كليوباترا السابعة، وهي آخر ملكات البطالمة في مصر، حكمت من: سنة ٥١ قبل الميلاد حتى وفاتها في سنة ٣٠ قبل الميلاد.

كان **للقدّيسة حنة** أختان: **مريم**، التي تحمل اسم والدتهما، وصوبي. مريم تزوّجت في بيت لحم وأنجبت سالومي القابلة، أمّا صوبي فتزوّجت أيضًا في بيت لحم، وأنجبت أليصابات أمّ يوحنا المعمدان.. أمّا **القديسة حنة** نفسها، فتزوّجت في الجليل من يواكيم، الذي كان من سبط يهوذا، ووزقا بابنة واحدة: مريم، التي منها تجسّد **ابن الله الكلمة** استحققت **القديسة حنة** شرفًا عظيمًا ونعمةً سامية، إذ أنجبت ابنه وحيدة، هي **والدة مُخلّص العالم**. وبعد أن فطمت العذراء وكرّستها لله، قضت حياتها كلّها في الصوم والصلاة وأعمال الرحمة للفقراء، ثم أسلمت روحها الطاهرة بسلام، وورثت الخيرات الأبديّة. لأنّ الربّ نفسه قد أكّد قائلاً: **«وَالْأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (متى ٢٥: ٤٦)**، أي إنّ الأبرار سينتقلون لينالوا الحياة الأبديّة.

بشارة حنة ويواكيم بحسب إنجيل يعقوب الأولي

بحسب ما يورده إنجيل يعقوب الأولي، كانت حنة زوجة يواكيم. ولم يكن للزوجين أولاد، فكانا يتضرّعان إلى الله بحرارة كي يمنحهما ثمرة البطن. لم يُهمَل طلبهما، بل استجاب الله لصلاتهما، وأرسل ملاكًا يُبشّرها بأنّهما لا يرزقان فقط ولدًا، بل إنّ هذا النسل سيُصبح مشهورًا في كلّ أرجاء العالم، كما جاء في البشارة: **«سَيَذَاع صَيْثٌ نَسْلَكَ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ»**.

كلمة «الأولي» في «إنجيل يعقوب الأولي» لا تعني الترتيب الزمني، بل تشير إلى أنّه إنجيل يُعنى بالمراحل الأولى لسرّ الخلاص. وهي ترجمة مُتعارف

عليها للمصطلح اليوناني Πρωτευαγγέλιον.

وهو إنجيل الطفولة بحسب يعقوب أو Protoevangelium of James باللاتينية. كُتب على الأرجح في منتصف القرن الثاني الميلادي. يركّز على: سيرة العذراء مريم قبل ولادتها. والديها: القديسين يواكيم وحنة. وبعض الأحداث المرتبطة بميلاد الرب يسوع. رغم كونه منحولاً، إلا أنّ الكنيسة الأرثوذكسيّة، استقت منه تقليدًا كثيرًا من تفاصيل سيرة العذراء، لا بوصفه نصًّا قانونيًا، بل كمصدر تراثي تقويّ وتاريخي.

ولادة مريم بحسب الموعد الإلهي

في الواقع، بحسب اللاهوت الأرثوذكسي، فإنّ حنة المُسنّة أنجبت فتاةً **«بوعِدٍ إلهي، ولكن أيضًا بحسب نواميس الطبيعة»**. وقد دعتها **«مريم»**، وكانت معدّة منذ الأزل لتُصبح أمّ المسيح الإله والإنسان.

وقد ذهبت الكنيسة الكاثوليكية أبعد من ذلك، فتبنّت عقيدة الحبل بلا دنس (Immaculata Conceptio)، أي أنّ العذراء مريم حُبِل بها بدون وصمة الخطيئة الجديّة، والتي ترفضها الكنيسة الأرثوذكسيّة.

تكرّم القديسة حنة في الكنيسة

تُكرّم الكنيسة الأرثوذكسيّة القديسة حنة ثلاث مرّات ضمن الدورة الليتورجيّة السنويّة حسب التقويم اليولياني:

- (١) في ٩ كانون الأوّل (ديسمبر): عيد حبليها بالعذراء مريم.
- (٢) في ٢٥ ثُموز (يوليو): عيد رُقادها.
- (٣) في ٩ أيلول (سبتمبر): عيد مشترك مع زوجها القديس يواكيم.

إكرام القديسة حنة في التاريخ والديانات

في القرن الخامس، شيدت الإمبراطورة البيزنطيّة أودوكسيّة كنيسةً على اسم **القديسة حنة** في أورشليم، حيث تقول التقاليد إنّها وُلدت هناك. وفي سنة ٥٥٠م، أسّس الإمبراطور يوستينيانوس كنيسةً مكرّسة لها في القسطنطينيّة.

وتُحفظ ذخائر من جسد القديسة حنة في:

إسقيط القديسة حنة بجبل آثوس (التابع لدير لافرا الكبير)،

وفي كنيسة القديسة حنة في كاتريني (اليونان)، وكذلك في العديد من المزارات المقدّسة حول العالم وبالأخص في جبل آثوس.



دير بانديليمون للروس الأرثوذكس جبل آثوس

أول شهادة مؤكدة عن وضع الدير ونشاطه وحقوق ملكيته تعود إلى مرسوم ذهبي للإمبراطور أندرونيكوس الثاني باليولوجوس. كما نعلم أنه حتى عام ١٤٩٧ كان غالبية الرهبان المقيمين في الدير من الأصل اليوناني.

حتى القرن الخامس عشر، قدّم الأمراء والملوك الصرب هبات كبيرة للدير، ممّا ساهم في ازدهاره الكبير. وفي أوائل القرن السادس عشر، بدأ تيارٌ كبيرٌ من الرهبان الروس بالوصول إلى الدير، ترافق مع هبات من القيصرية الروسية. غير أنّه في عام ١٦٢٦، اندلعت أزمة مالية، فأصبحت إدارة الدير تحت إشراف الإدارة المركزية لجبل آثوس.

وفي القرن الثامن عشر، أدّت الحروب الروسية - العثمانية إلى انخفاض عدد الرهبان الروس، وصار الدير مكوّنًا في الأساس من رهبان يونان وبلغار وصرب.

المرحلة الجديدة لدير القديس بانديليمون والموقع الجديد

في عام ١٧٣٥ دخل دير القديس بانديليمون في مرحلة جديدة، حيث انتقلت الإدارة إلى رئيس دير يوناني، وتم اتخاذ قرار ببناء الدير في موقع جديد. وهكذا، بدأ كلٌّ من الرهبان اليونان والروس بعملية إعادة بناء الدير الجديد سنة ١٧٦٥.

صار موقع الدير الجديد على الساحل، في بقعةٍ كان يقوم فيها دير صغير منذ سنة ١٦٧٦، أسّسه أسقف يريستوفوروس. ومن الملفت للنظر أنّ النقش الموجود على مدخل الكنيسة، والذي يذكر عبارة: «المسمّاة الروسية»، يعود إلى تلك الفترة.

الهبات من عائلة كاليماخوس الفاناريّة

تمكّن الدير الروسي من أن يُعيد تنظيم نفسه وينهض من جديد، بفضل الهبات السخيّة جدًّا التي قدّمتها عائلة كاليماخوس الفاناريّة، لا سيما بفضل تدخّل الأمير المولدوفي يوحنا كاليماخوس (في القرن

أين يقع الدير الروسي ومتى يُعَبّد؟

يقع الدير المقدّس للقديس بانديليمون، المعروف أيضًا باسم الدير الروسي، في الجهة الجنوبيّة الغربيّة من شبه جزيرة آثوس، قبل ميناء دافني بقليل، وعلى بُعد ساعة واحدة من دير كسينوفوندوس.

يحتفل دير القديس بانديليمون بعيد شفيعة القديس بانتيليمون، ويحتل المرتبة التاسعة عشرة في التسلسل الهرميّ لأديرة جبل آثوس.

متى تأسّس الدير الروسي للقديس بانديليمون؟

إنّ المشهد الحالي للدير، بما يحويه من أبنيةٍ شاهقة ومتعدّدة الطوابق متروكة، يشهد على ماضٍ غنيّ ومليء بالعظمة. تعود بدايات تاريخ هذا الدير إلى حوالي القرن العاشر الميلادي.

وبحسب المصادر التاريخيّة، فإنّه في نحو سنة ١٠٣٠، جاءت جماعة من الرهبان الروس مع رئيس ديرهم لافرنتيوس، واستقرّوا في دير والده الإله الكلية القداسة المدعو بـ «النحّار» (كسيلرغوس) (Ευλουργός) (والذي يُطابق اليوم إسقيط فوغوروديتسا). ومع مرور الوقت، ازداد عدد الرهبان، فوهبتهم الجمعيّة المقدّسة لجبل آثوس سنة ١١١٨ ديرًا مهدهمًا يُدعى «دير التسالونيكّي».

وفي منتصف القرن الثاني عشر، انتقلت هذه الجماعة إلى دير التسالونيكّي، والذي كان مكرّسًا للقديس بانديليمون. وهناك، بقيت الجماعة الرهبانيّة في هذا الموقع لحوالي سبعة قرون، أي حتى سنة ١٧٦٥.

دير القديس بانديليمون عبر العصور

للأسف، إنّ المعلومات المتوفّرة عن نشاط الدير في القرنين الثاني عشر والثالث عشر قليلة، إذ أنّ حريقًا مدمّرًا قضى على معظم الوثائق التاريخيّة.

الثامن عشر)، وشكارلاتوس كاليماخوس (بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر). وهكذا، أصدر **البطريك كاليينيكوس الخامس سنة ١٨٠٦** مرسومًا كنسيًا (سيغيليون)، وُصِف فيه الدير بأنه: «دير شركوي أصيل (كينيفي) لعائلة كاليماخوس».

وبعد انسحاب الأتراك، تابع الدير مسيرة تجديده، برئاسة الأب **غيراسيموس** من دراما، الذي اشتهر بفضيلته وتميُّزه الروحي. وفي **سنة ١٨٣٥**، خلال فترة رئاسته، وصل أول رهبان روس إلى الدير، بعد غياب طويل عن هذا المكان المقدس.

السيغيليون (Σιγγίλιον): مرسوم بطريركي له طابع قانوني وروحي يُستخدم في توثيق أمور كنسية مهمة.

كينيفي (Κοινόβιον): نظام الحياة الرهبانية المشتركة، حيث يعيش الرهبان في طاعة لرئيس الدير، ويشتركون في الصلاة والمائدة والعمل، على عكس النظام الانفرادي.

لأول مرة: رئيس دير روسي والقدّاس الإلهي باللغتين

في **سنة ١٨٧٥**، تمّ انتخاب أول رئيس دير روسي، ومنذ ذلك الوقت بدأت الليتورجيا الإلهية تُرَتَّل باللغتين: اليونانية والروسية.

وبناءً على ذلك، قدّم العديد من القياصرة الروس تبرعات مالية ضخمة لتعزيز الدير وتوسيعه، وكذلك لدعم السكيات (الأساقيط – أو القلاي) التي كان يعيش فيها رهبان روس.

لكن، ومع مرور الوقت، أدّت الزيادة الجماعية في أعداد الرهبان الروس داخل **دير القديس بانديليمون** إلى اختلال التوازن العددي بين اليونانيين والروس، ما سبّب توترات متصاعدة. ففي **سنة ١٨٩٥** بلغ عدد الرهبان الروس ألف راهب، واستمر هذا العدد في الازدياد حتى **سنة ١٩١٣**.

ثم اندلعت أزمة خطيرة في الدير بسبب بدعة نشأت في صفوف الرهبان، وهي بدعة تقول إن «اسم الله هو الله نفسه»، فاعتُبرت انحرافًا لاهوتيًا خطيرًا يُخلط فيه بين الاسم المخلوق والجوهر الإلهي غير المخلوق. وقد أُدينَت هذه الهرطقة رسميًا، وأُرسل كثير من أتباعها إلى المنفى. وأدّت إلى نفى عدد كبير من الرهبان.

ملحوظة: «عبادة الاسم» (Ονοματολατρία) هي تيار لاهوتي ظهر في بداية القرن العشرين، ويدّعي أنّ «الاسم الإلهي (يسوع أو الله) هو الله نفسه»، ما يُعدّ خلطًا بين الكلمة المنطوقة أو المكتوبة (وهي مخلوقة) وبين جوهر الله (غير المخلوق). وقد أدان المجمع المسكوني للكنيسة الأرثوذكسية هذه العقيدة، معتبرًا إيّاها بدعة تقود إلى تأليه ما ليس إلهًا.

لكن من أَدانها رسميًا:

(١) المجمع المقدس لبطريركية القسطنطينية:

أدان هذه البدعة سنة ١٩١٣ واعتبرها انحرافًا خطيرًا عن العقيدة الأرثوذكسية.

(٢) المجمع المقدس في روسيا (قبل الثورة)

أصدر أيضًا إدانة رسمية، وجرى نفى وتوقيف عدد من الرهبان الروس في آثوس الذين اعتنقوها.

(٣) في جبل آثوس تحديدًا، تمّ إرسال فرقة من البحريّة الروسية آنذاك لطردهم الرهبان الاسمويين من دير بانديليمون وسكّيت أندرياس، وتم اعتقال بعضهم

ونقلهم إلى روسيا.

جوهر الخطأ كان في مساواة الاسم المنطوق بالله نفسه، ممّا يناقض التعليم الأرثوذكسي حول الفرق بين الجوهر الإلهي (غير المخلوق) والتعبير اللغوي (المخلوق). هذه الإدانة تُعدّ ملزمة ضمنيًا في التقليد الأرثوذكسي، حتى وإن لم تصدر عن مجمع «مسكوني»، لأنها صادرة عن السلطات الكنسية العليا في الزمان المعني.

وبعد ذلك، ومع اندلاع الثورة الروسية **سنة ١٩١٧**، توقّف نهائيًا تدفّق الرهبان الروس إلى جبل آثوس.

منشآت دير القديس بانديليمون وأضخم الأجراس في جبل آثوس
إنّ الكاتوليكون (الكنيسة الرئيسيّة) للدير قد بُني بين عامي **١٨١١ - ١٨٢١**، وهو مكرّس للقديس بانتيليمون.

أما الرسومات الجدارية في داخله، فهي من طراز روسي، بينما بُنيت القاعة الكبرى (الترّا peza) **سنة ١٨٩٢**، وتمّ تزيينها جداريًا **سنة ١٨٩٧**.

وتُعدّ أجراس الدير الشهيرة من أبرز معالمه، إذ يفوق مجموع وزنها **العشرين طنًا!**

أما أضخم جرس في جبل آثوس فهو موجود في هذا الدير الروسي، ويزن ثلاثة عشر طنًا، ويبلغ قطره **٢,٧٠ مترًا**.

الذخائر ومكتبة دير القديس بانديليمون

تضمّ الذخائر المحفوظة في **دير القديس بانديليمون** عددًا كبيرًا من الأواني الكنسيّة الثمينة، والملابس الكهنوتيّة، والأيقونات المحمولة ذات القيمة الروحيّة والفنيّة. وقد قدّم معظمها كهدايا من قياصرة روسيا.

لكن، وبكل أسف، فقد تسبّب الحريق الأخير **سنة ١٩٦٨** بتدمير نصف الدير تقريبًا. إضافة إلى ذلك، يحتوي بيت الذخائر على صُلبان مزخرفة، ووصناديق مزينة تحمل ذخائر مقدّسة، وأيقونات مكرّمة، وقطعة من الصليب الكريم الحبي.

ومن بين الذخائر المميّزة، تبرز **أيقونة والدّة الإله القادرة من أورشليم، وأيقونة القديس يوحنا المعمدان**.

الأيقونة العجائبية والمكتبة والمنشآت التابعة للدير

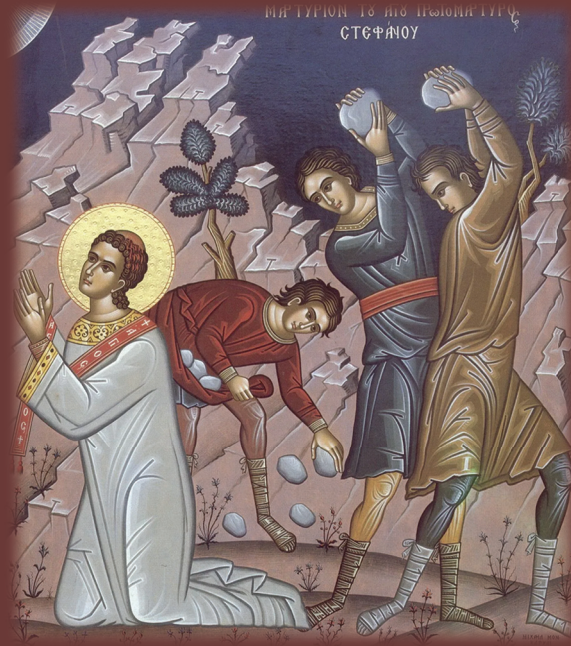
تُعتبر أهمّ أيقونة في **دير القديس بانديليمون** هي **الأيقونة العجائبية للقديس بانتيليمون**، وهي محفوظة داخل كنيسة الدير، وتعود أصولها إلى مستوطنة «النّجار» (كسيلرغوس) (Ξυλουργός) منذ **سنة ١٠٣٠**.

أما مكتبة الدير فتضمّ حوالي **١٣٢٠** مخطوطة، منها **٦٠٠** مكتوبة باللغات السلافيّة، إضافةً إلى أكثر من **٢٠ ألف** كتاب مطبوع.

وقد امتلك الدير الروسي أوقافًا (متوخيا) في عدّة مناطق من الأرض الروسية.

أما في جبل آثوس، فهو يحتفظ بـ **٥** قلاي، و **٢** إسقيط، ونحو **٢٠** كنيسة صغيرة داخل الدير (باراكليسيات)، و **٢٠** كنيسة خارجيّة (إكسوكليسيات). (لاحقًا سنخصّص صفحة للذخائر المقدسة).

نقل رفات القديس إستيفانوس رئيس الشمامسة

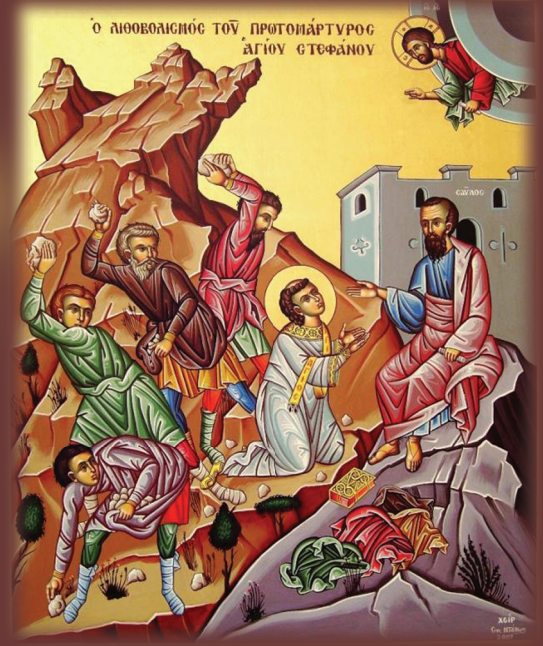


وأول الشهداء

٨/٢ شرقي

٨/١٥

غربي



تُرجم من موقع: رعية دراكوناس، القديس أنطونيوس - بيراكينس.
ياني ميلوناكيس - مشرف النشر

« هكذا، أرسل غملائييل خدمه ليأخذوا جسد القديس خفية، فنقلوه إلى ملكيته ودفنوه على نفقته الخاصة في قبره الشخصي. وكان غملائييل، وابنه أبيوس، وابن أخيه نيقوديموس - تلميذ الرب الليلي - قد تعمّدوا مسيحيين على يد الرسولين يوحنا وبطرس. وبعد انقضاء الحداد الذي دام أربعين يوماً، علّم اليهود أن نيقوديموس قد تعمّد، فأخضعوه للعديد من العذابات. فهرب نيقوديموس، وهو مضطهد وجريح، إلى قرية غملائييل وطلب منه المأوى. لكن، للأسف، وبعد بضعة أيام، أسلم الروح متأثراً بجراحه ودُفن إلى جانب القديس استفانوس. وعندما رقد لاحقاً غملائييل وابنه أبيوس، دُفنا أيضاً بجانب القديس استفانوس ونيقوديموس.»

في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير (٤٠١-٤٥٠ م)، يوم الجمعة، في الثالث من كانون الأول من سنة ٤١٥ م، كان لوقيانوس، كاهن تقي وموقر من قرية كفر غملا، نائماً قرب جرن المعمودية في الكنيسة التي كان يخدم فيها، فرأى في رؤيا غملائييل، الذي ظهر له وكشف له عن المكان الذي كان مدفوناً فيه هو نفسه، وابنه أبيوس، وابن أخيه نيقوديموس، وقبل الجميع، القديس استفانوس أول الشهداء. وقد وُصف غملائييل في الرؤيا كرجل شيخ، طويل القامة، مرتدياً لباساً كهنوتياً. وكان عباة مزينة بأحجار كريمة وتحمل علامة الصليب. وكان غملائييل يحمل في يده صولجاناً ذهبياً، وتحدث إلى لوقيانوس منادياً إياه باسمه.

ثم أمره (أي غملائييل) أن يبحث ويفتح قبور استفانوس ورفاقه، وحثّه على أن يذهب إلى أورشليم ويبلغ أسقف أورشليم، يوحنا، لكي ينقلوا الرفات إلى مكان أكثر ملائمة للراحة. لكن لوقيانوس، إذ كان غير متيقن من طبيعة هذه الرؤيا، لم يفعل ما أمر به غملائييل. بل، على

عيد نقل الرفات المقدسة للقديس استفانوس، أول الشهداء ورئيس الشمامسة، كان منذ العصور البيزنطية، عيداً مهماً للغاية في كل من الشرق والغرب. ومن الناحية الأيقونوغرافية، فقد جرى تصوير هذا الحدث المقدس في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، وربما بشكل أوسع في الغرب. وبخصوص السرد التاريخي لنقل الرفات، يمكننا أن نقرأ في السطور التالية:

«وفقاً للتقليد الهاغيوغرافي (سير القديسين)، يُنسب اكتشاف رفات القديس استفانوس إلى الكاهن لوقيانوس. ففي رسالة تُنسب إليه، يصف لوقيانوس رؤيا رآها، وفيها كشف له بطريقة عجائبية عن الموضع الذي كان القديس استفانوس مدفوناً فيه.»

"بعد رجم القديس استفانوس، اندلع اضطهاد كبير ضد كنيسة أورشليم، فتشتت الجميع إلى قرى اليهودية والسامرة، ما عدا الرسل. وبأمر من الرؤساء، نُقل جسد استفانوس إلى خارج البوابة الشمالية للمدينة، وبقي هناك دون دفن، لكي تفتسه الوحوش الضارية.

لكن، رغم هذا الأمر، وبمشيئة الله، لم يقترب أي حيوان من جسد استفانوس. حينئذٍ، اقترب بعض الرجال الأتقياء، وبعد أن نوحوا عليه، أخذوا جسده ودفنوه.

وقد تمّ ذلك بمبادرة من المعلم الناموسي غملائييل، الذي توسّل إلى الرسل وشجّعهم على أخذ جسد استفانوس ودفنه في القبر الذي كان قد أعدّه لنفسه، في قرية تُدعى كفر غملا، الواقعة في منطقة «أورشليم الكبرى». «كفر غملا» (Καφαρ Γαμάλα) تعني حرفياً: «قرية غملائييل» أو «مكان غملائييل»، وهي كما ذكرت، قرية واقعة ضمن نطاق منطقة أورشليم الكبرى.

العكس، صلى إلى الله وتوسّل إليه أن يظهر له الشيخ مرّة أخرى، لكي يتأكّد أن ما رآه هو رؤيا إلهية حقيقة. وفي يوم الجمعة التالي، ظهر غملائيل مرّة ثانية للوقيانوس، وسأله بنفاد صبر: لماذا لم يتصرّف بحسب الإرشادات التي أعطها له؟ فشرح له الكاهن أنّه صلى لأنّه كان لديه شكوك، وكان ينتظر علامة أخرى. ولكي يُقنع غملائيل لوقيانوس، أعطاه معلومات دقيقة عن الطريقة التي سيستطيع بها التعرف على الأجساد المقدّسة بعد استخراجها من القبور. فرأى لوقيانوس، في رؤيا، أربعة سلال: ثلاث ذهبية وواحدة فضية. وكانت السلال الذهبية مزينة بالورود. إحداها بالورود الحمراء، أما الاثنتان الأخريان فبهور بيضاء. أما السلة الرابعة، فكانت مملوءة بالزعفران (أزهار الكرم).

وفورًا فسّر له غملائيل الرؤيا، قائلاً إن الورود ترمز إلى الرفات المقدّسة للرجال. فالورود الحمراء كانت تشير إلى استفانوس، لأنه نال كرامة الاستشهاد، أما الورود البيضاء فكانت تشير إلى نيقوديموس وغملائيل، من أجل ثباتهم في الإيمان. أما الزعفران فكان يرمز إلى أيبوس، لأنه حفظ بتوليته (عفته). ومع ذلك، وبعد هذا الإعلان الرمزي، لم يتبع لوقيانوس وصية غملائيل. فظهر له غملائيل مرّة ثالثة، ووجّهه لأنه أهمل تنفيذ الإرشادات التي أعطها له. حينئذٍ، أخبر لوقيانوس فورًا الأسقف يوحنا عن الرؤيا التي رآها، موضّحًا بعناية جميع التفاصيل. فأعطى يوحنا الإذن فورًا لكي تتم عملية استخراج الرفات. وما إن وصل لوقيانوس مع جمع غفير من الناس إلى الموضع الذي كان غملائيل قد أشار إليه، حتى بدأوا بالحفر، فوجدوا قبور الرجال القديسين. وكانت أسماءهم منقوشة على القبور باللغة العبرية:

حليئيل (Χιλιήλ) (Χιλιάλ)، ويعني «استفانوس»،

ناشوم (Νασόμ) (Νασόμ)، ويعني «نيقوديموس»،

غملائيل (Γαμαλιήλ) (Γαμαλιήλ)،

وأيلبوس (Αβελβούς) (Αβελβούς)، أو اشتقاق رمزي Αβελβούς،

ويعني «ابنه».

وفورًا، اهتزّت الأرض، وامتأّلت الجوّ برائحة عطرة عجيبة، شفت العديد من الأمراض لدى الحاضرين في موقع استخراج الرفات. وفي الوقت نفسه، كانت أصوات ملائكة تشد: «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمُسَرَّةُ». (لوقا ٢: ١٤). في ذلك الزمان، كان يوحنا أسقف أورشليم (حوالي ٣٥٦-٤١٧ م) يرأس مجمعًا في ديوسبوليس (اللد). وما إن بلغه الخبر المؤثّر عن العثور على الرفات، حتى عاد إلى أورشليم، يرافقه الأسقفان: إفتونيوس (أسقف سبسطية) وألفثيريوس (أسقف أريحا)، ليقيموا مراسم نقل رفات أول الشهداء استفانوس. وفي السادس والعشرين من كانون الأول سنة ٤١٥، نُقل الرفات المقدّس للقديس استفانوس باحتفال مهيب إلى كنيسة السيّدة صهيون في أورشليم، وقد شكّل هذا الحدث عودة القديس إلى موضع خدمته الرسوليّة الأولى. بعد إيداع رفات القديس في كنيسة السيّدة صهيون، جاء أحد أعضاء مجلس الشيوخ (السناتور) من القسطنطينية يُدعى ألكسندروس، إلى أورشليم، وبني كنيسة فخمة مكرّسة للقديس استفانوس. وقد توسّل هذا العضو في المجلس الإمبراطوري بحجارة إلى

الأسقف يوحنا كي ينقل إلى هناك رفات القديس، وهو طلبٌ قُبِل وتمّ تنفيذه. وبعد خمس سنوات، حين مرض ألكسندروس، صنع تابوتًا من خشب شجرة الخوخ (باليونانية: γλωσσόκομον περσεϊνόν)، يشبه التابوت الذي كان يحوي رفات القديس استفانوس، وأعرب عن رغبته في أن يُدفن بعد وفاته بجوار القديس استفانوس. وعندما توفّي ألكسندروس أخيرًا، وُضع تابوته، مع جسده، بجانب تابوت أول الشهداء. وبعد ثماني سنوات، أرادت أرملته، يولياني، أن تنقل جسد زوجها إلى القسطنطينية. فتوجّهت إلى بطريك أورشليم آنذاك، وتوسّلت إليه أن يسمح لها بنقل رفات زوجها. لكن البطريك رفض في البداية، إلا أنه، بعد تدخّل والد يولياني الذي حصل على أمر ملكي، اضطرّ إلى السماح بذلك. غير أن العناية الإلهيّة، إذ أضلّت المرأة عن غير قصد، جعلتها تأخذ تابوت القديس استفانوس الذي يشبه تابوت زوجها، فحملته على حمار وبدأت رحلتها إلى القسطنطينية. طوال الليل، كانت الملائكة تسبّح، وانتشرت رائحة عطرة، فيما كان الشياطين ينوحون. وحين وصلت المرأة إلى مدينة عسقلان الساحليّة، وجدت سفينة، فصعدت إليها وأبحرت نحو القسطنطينية. وأثناء الرحلة، وقعت مشقّات وأحداث عجيبة، لكن، وبغاية القديس، وصلت السفينة إلى خلقيدونية (خالكيذون) حيث رست. من هناك، تابعوا إلى منطقة غلطة (المعروفة باسم سيكياس - Συκεαίς)، ثم عبروا إلى الجهة المقابلة إلى مكان يُدعى ستافريون (Ζεύγμα)، حيث قاموا بربط البغال وحملوا عليها رفات القديس استعدادًا لنقله إلى القسطنطينية. وفي هذه الأثناء، علم الملك أن رفات القديس استفانوس قد وصل إلى القسطنطينية. فروت له يولياني كلّ مغامرة الرحلة، فابتهج الملك جدًّا، وأمر البطريك وجميع الإكليروس أن يخرجوا لاستقبال الرفات المقدّسة بتوقير واحترام، وأن يحملوها إلى القصر الملكي. وكانت المعجزات التي تلت ذلك لا توصف. فبدأت البغال تجرّ العربة التي تحمل الرفات، حتى وصلت إلى منطقة تُدعى «كونستانتينايا» (Κωνσταντιναί)، وهناك توقفت. وبينما كانوا يضربون الحيوانات كي تتابع المسير، تكلم أحد البغال بصوت إنساني وقال: «لَمْ تضربونا؟ هنا يجب أن يُوضع الرفات المقدّس. عندما سمع البطريك والحاضرون الصوت، سجّدوا الله.

ومتى علم الملك بالأحداث، تفاجأ وأمر بوضع الرفات في إحدى كنائس المنطقة، حيث أتيحت للناس فرصة التبجيل لفترة طويلة.

لاحقًا، بُنيت في ذلك المكان كنيسة مكرّسة للقديس استفانوس. ويُروى أن ثيودوسيوس الصغير أرسل صدقة كبيرة إلى رئيس أساقفة أورشليم ليوزعها على الفقراء. كما أرسل صليبيًا ذهبيًا مرصعًا بالأحجار الكريمة ليوضع في موضع الجمجمة. وردًا على ذلك، أرسل رئيس أساقفة أورشليم اليد اليمنى للقديس استفانوس كعلامة شكر إلى العاصمة (عام ٤٢٩). وعندما وصل الرفات الذي نقله بيساريون إلى خلقيدونية، تجلّى القديس لبولخيريا، التي أتت مع أخيها الإمبراطور ثيودوسيوس الجديد لاستلام هذا الأثر الكريم، الذي وُضع لاحقًا في القصر، ثم نُقل إلى أول كنيسة للمدينة الإمبراطورية المكرّسة للقديس.

الجزء الخامس - تنمة



القديس نكتاريوس العجائبي

وَمَا نَحْنُ عَلَى عَتَبَةِ الْحَرْبِ الْأَوْرُوبِيَّةِ الْأُولَى، حِينَ رَاحَ غَلِيُومٌ قَيْصَرُ أَلْمَانِيَا يَزْرُعُ التَّهْدِيدَاتِ بُمْنَةً وَيُسْرَةً. وَقَدْ اجْتَمَعَتْ مَمَالِكُ أَوْرُوبَا حَوْلَهُ أَوْ ضِدَّهُ. وَخَافَتْ الشُّعُوبُ، وَلَكِنَّهَا بَقِيَتْ غَيْرَ مُبَالِيَةٍ. وَكَانَتْ أَحْيَانًا تُعَيِّي وَأَحْيَانًا تُخْسِ أَنْفَاسَهَا مُنْصَتَّةً إِلَى صَوْتِ رِيحِ الْفَاجِعَةِ. أَمَّا فِي وَطَنِنَا، فَقَدْ سَارَتْ الْأُمُورُ بِشَكْلٍ أَفْضَلَ نَوْعًا مَا بَعْدَ الْحُرُوبِ الْبُلْقَائِيَّةِ الظَّافِرَةِ. وَعَادَ الْبَلَدُ لِيَنْعَمَ تَدْرِيجِيًّا بِشَيْءٍ مِنَ الْإَزْدِهَارِ الْاِقْصَادِيِّ، وَقَدْ اسْتَبَّتِ الْوَضْعُ بَعْضَ الشَّيْءِ.

وَفِي الدَّيْرِ اسْتَمَرَّتِ الصَّلَاةُ كَالْعَادَةِ، إِلَى جَانِبِ التَّقْتِيرِ وَالْكَدِّ وَالْعَمَلِ الْيَوْمِيِّ، وَالْكَثِيرِ مِنَ الدُّمُوعِ.

لَقَدْ انْتَهَى بِنَاءُ دَارِ الضِّيَافَةِ خَارِجَ الدَّيْرِ، وَهِيَ تَحْتَوِي عَلَى ثَلَاثِ غُرَفٍ. وَقَدْ أَصْبَحَ فِي الدَّيْرِ الْآنَ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ عَذْرَاءً يُنْشِدْنَ الْحَيَاةَ النُّسَكِيَّةَ: مِنْ مُبْتَدَأَاتِ وَرَاهِبَاتٍ وَمُتَوَحِّدَاتٍ.

وَعِنْدَئِذٍ وَصَلَ فَجَاءَهُ مِنْ أَثِينَا وَالْبِيرِيهِ خَبَرٌ مُفَادُهُ أَنَّ الْمَثْرُوبُولِيَتِ ثِيُوكْلَيْطُسَ قَدْ عَادَ عَنْ مُوَافَقَتِهِ الشَّفَهِيَّةِ عَلَى بِنَاءِ الدَّيْرِ، وَأَنَّهُ مُعْتَاطٌ جَدًّا، وَهُوَ يَهْدُدُ بِطَرْدِ السَّاكِنِينَ فِيهِ وَبِتَفْرِيقِهِمْ، وَهَدَمَ الدَّيْرَ.

وَكَانَتْ حِينَئِذٍ جَمِيعُ مَدْخَرَاتِ مُؤَسَّسِ الدَّيْرِ قَدْ صُرِفَتْ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْعَمَلِ، تِلْكَ الْمَدْخَرَاتِ الَّتِي دَفَعَ ثَمَنَهَا مِنْ دَمِهِ، صَابِرًا فِي التَّجَارِبِ وَالتَّلْعِيمِ وَالنُّسْكِ. وَكَذَلِكَ مَدْخَرَاتُ الْكَثِيرِ مِنَ الْفَتَيَاتِ اللَّوَاتِي أَتَيْنَ لِلْعَيْشِ فِي الدَّيْرِ كَرَاهِبَاتٍ، وَأَمْوَالُ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْمُسَبَّرِعِينَ وَالْفُرَّاءِ وَالرُّوَّارِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الْأَصْدِقَاءِ الْأَوْفِيَاءِ قَدْ بَدَأُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ هَذَا الْعَمَلِ الْعَظِيمِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَدِيحِ، وَكَانُوا يَأْتُونَ لِلزِّيَارَةِ وَيُقَدِّمُونَ الْمُسَاعَدَاتِ.

إِنَّ عَمَلَ عَشْرِ سِنِينَ، عَمَلًا تُعَقَّدُ عَلَيْهِ الْأَمَالُ، وَيَتَوَقَّعُ لَهُ مُسْتَقْبَلٌ عَظِيمٌ، وَبُرْجُ الْأَجْرَاسِ الْكَبِيرُ ذَا الرُّوَايَا الْمُحَدَّدَةِ بِدِقَّةٍ، وَالَّذِي تَمَّ بِنَاؤُهُ حَجَرًا فَوْقَ حَجَرٍ، وَالْأَحْلَامُ وَالْأَمَلُ وَالتَّفَانِي، كُلُّ ذَلِكَ أَصْبَحَ مُهَدَّدًا بِالتَّقْوُصِ وَالْإِنْهِيَارِ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، لِيَتَبَدَّدَ فِي الرِّيْحِ، فَقَطْ بِسَبَبِ اعْتِرَاضِ أَسْفَفٍ غَاضِبٍ وَحَسُودٍ.

وَرَاحَ نِكْتَارِيُوسُ يَتَمَتَّعُ: «لَنْ يَسْمَحَ اللَّهُ بِذَلِكَ». لَكِنَّ هَذَا الْخَبَرَ السَّيِّئَ صَارَ يَتَأَكَّدُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ،

كُلَّمَا وَصَلَ مَرْكَبٌ جَدِيدٌ وَزَارِئٌ جَدِيدٌ. وَحَتَّى سَاكُوبُولُوسَ الْحَبِيبَ الْمُقِيمَ فِي أَثِينَا، قَدْ اشْتَرَكَ فِي الْمَعْرَكَةِ: كَانَ يَصِلُ فِي نَهَايَةِ كُلِّ أُسْبُوعٍ عَلَى ظَهْرِ حِمَارِهِ حَامِلًا كَدْسَةً كُتِبَ دِينِيَّةٌ مَعَ الْأَغْرَاضِ الْمَطْلُوبَةِ، حَاثِي الظَّهْرِ، حَزِينًا، وَيَقُولُ: «لَقَدْ جُنْتُ ثِيُوكْلَيْطُسَ مِنَ الْغَضَبِ بِسَبَبِ تَوَسُّعِ الدَّيْرِ، هَذَا مَا يَهْمِسُ بِهِ الْإِكْلِيرُوسُ فِي أَثِينَا. وَسَوْفَ يَأْمُرُ بِحُلِّهِ بَيْنَ يَوْمٍ وَآخَرَ».

أَمَّا الرُّاهِبَاتُ فَقَدْ اسْتَسْلَمْنَ لِلْبُكَاءِ وَالْاضْطِرَابِ وَالْفَزَعِ. إِلَى أَيْنَ سَيَمُّ إِرْسَالُهُنَّ؟ وَأَيْنَ سَيَتَابَعْنَ حَيَاةَ الْاسْتِشْهَادِ هَذِهِ؟ لَقَدْ كَانَتْ الْأَذْيَاؤُ الْأَرْثُودُكْسِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَالْخَلَايَا (الْقَلَالِي) الرُّوحِيَّةُ نَادِرَةً. وَكَانَتْ تَفْتَقِدُ لِلْمَوَارِدِ وَالْحِمَايَةِ. وَكَانَ مِنْهَا مَا هُوَ كَثِيرُ الْغِنَى وَالْأَمْلَاكِ، إِلَّا أَنَّ الْأَسَاقِفَةَ كَانُوا يَضْعُونَ رِجَالَهُمُ الْمُقَرَّبِينَ لِيَصِيبُوا مِنْ مَدَاحِيلِ هَذِهِ الْأَذْيَارِ حِصَّةَ الْأَسَدِ، وَلِهَذَا فَقَدْ كَانُوا يَسْمَحُونَ فِيهَا بِحَيَاةٍ كَثِيرَةٍ التَّهَاطُوتِ، مَلِيَّةٍ بِالْحَزَنِ وَالتَّهْتُّكِ.

وَقَالَ لَهُمْ نِكْتَارِيُوسُ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ:

لَا تَحْضَنْ، فَإِنَّ الَّذِي تَرَى عَيْنَاهُ كُلَّ شَيْءٍ لَا يَدَعُ أَحَدًا يَخْذَعُهُ. وَهُوَ لَنْ يَسْمَحَ بِتَفْرِيقِنَا. لِنُحَافِظَ عَلَى نَقَاةِ الْقَلْبِ، وَلِنَبْنِىَ مُتَّحِدِينَ بِقُوَّةٍ. لِنَتَّحِلَّ بِالرُّوحِ الرُّهْبَانِيَّةِ، وَالْإِيمَانِ الْمُنَزَّهِ عَنِ الرِّيَاءِ. وَمَنْ جَدِيدٍ سَوْفَ تَتَشَفَّعُ بِنَا وَالِدَةُ الْإِلَهِ أَمَامَ ابْنِهَا مَلِكِ الْمُلُوكِ.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْمَثْرُوبُولِيَتِ قَدْ أَعْلَمَنِي فِي الْمُدَّةِ الْأَخِيرَةِ بِأَنَّهُ يَجِبُ أَلَّا أُضَيِّعَ وَقْتِي فِي الْإِهْتِمَامِ بِمَبَانِي الدَّيْرِ وَحَاجَاتِهِ. وَلَمَحَّ إِلَيَّ بِأَنَّهُ يُفَضَّلُ أَنْ أَسَافِرَ لِلوَعْظِ فِي الْمَدِينَتَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ وَضَوَاحِيهِمَا، بِسَبَبِ الْجَمَاعَاتِ الْهَرْطُوقِيَّةِ الْجَدِيدَةِ. وَلَقَدْ سَبَقَ أَنْ اهْتَمَمْتُ بِالْأَمْرِ وَكَرَسْتُ بَعْضَ اللَّيَالِي لِكِتَابَةِ دِرَاسَةٍ تَارِيخِيَّةٍ حَوْلَ الصَّلِيبِ الْمُقَدَّسِ، كَانَ قَدْ طَلَبَهَا مِنِّي الْمَثْرُوبُولِيَتِ، وَنُشِرَتْ فِي صَحِيفَةٍ «الْإِتِّحَادِ» الْخَاصَّةِ بِالْكَهَنَةِ، بُعِيَّةٌ تَصَحِّحُ بَعْضَ الْأَرَاءِ الْمَعْلُوطَةِ الَّتِي نَشَأَتْ فِي أَذْهَانِ أَشْخَاصٍ يَجْهَلُونَ تَمَامًا الْحَقَائِقَ التَّارِيخِيَّةَ حَوْلَ الْعُثُورِ عَلَى الصَّلِيبِ الْمُقَدَّسِ. وَسَوْفَ أَتِمُّ هَذِهِ الدِّرَاسَةَ وَأَنْشُرَهَا فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ مُمَكِّنٍ، وَأَهْدِيهَا إِلَيْهِ. وَأَمَلْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ يُعَيِّرُ رَأْيَهُ وَأَنْ يُصْبِحَ أَكْثَرُ تَسَاحُجًا.

وَفِي فَجْرِ الْيَوْمِ التَّالِي، كَتَبَ الرِّسَالَةَ التَّالِيَةَ:

يتبع في العدد القادم



تفسير رسالة القديس بولس الرسول الأولى

إلى أهل كورنثوس (42)

القديس يوحنا الذهبي الفم



القديس

بولس الرسول

الإصحاح الخامس:

العظة الخامسة عشرة: (١ كو ٥: ٧-٨)

٤) لِنَقُلْ أَوَّلًا لِمَاذَا حَمَلُوا الْعَجِينَ خَارِجَ الْحُدُودِ، وَإِلَى مَاذَا يُشِيرُ هَذَا الْعَمَلُ؟ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّعِدَ عَنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ. أَيُّ كَمَا أَنَّ ذَاكَ الَّذِي سَيَقْبَى لَدَيْهِ عَجِينٌ قَلِيمٌ، سَيَهْلِكُ، هَكَذَا سَيَحْدُثُ لَنَا عِنْدَمَا نُوْجِدُ خَطِيئَةً، لِأَنَّهُ مِنْ غَيْرِ الْمُمَكِّنِ أَنْ يَكُونَ الْعِقَابُ شَدِيدًا إِلَى هَذَا الْحَدِّ بِالنَّسَبَةِ لِلزَّمَنِ، وَلَا يَكُونُ أَشَدَّ بِالنَّسَبَةِ لَنَا. وَبِمَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْقُوتُونَ بُيُوتَهُمْ جَيِّدًا مِنَ الْخَمِيرِ وَيُحَاطُونَ بِتَدْقِيقٍ لئَلَّا تَكُونَ هُنَاكَ تَقُوبٌ (أَيِّ مَوَاضِعَ قَدْ تَكُونُ مَخْبَأً لِلْخَمِيرِ) فِيمَا يَحْمِلُونَهُ، فَبِالْأَكْثَرِ جَدًّا يَجِبُ أَنْ نَفْخَصَ نُفُوسَنَا بِالتَّدْقِيقِ، حَتَّى نُبْعِدَ عَنَّا دَائِمًا الْأَفْكَارَ غَيْرَ النَّقِيَّةِ.

إِلَّا أَنَّ هَذَا قَدْ حَدَثَ هَهُؤَلَاءِ فِي الْمَاضِي، أَمَّا الْآنَ فَلَا يَحْدُثُ بَعْدُ، لِأَنَّ الْعَجِينَ يُوجَدُ حَيْثُمَا يُوجَدُ يَهُودِيٌّ. بِمَعْنَى أَنَّ الْفَطِيرَ (الْعَجِينَ غَيْرَ الْمُخْتَمِرِ)، يُوجَدُ الْآنَ فِي قَلْبِ الْمُدُنِ، الْأَمْرُ الَّذِي أَصَحَّ مُعَبَّرًا عَنْ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْهُ عَنْ نَامُوسٍ (قَانُونٍ)، لِأَنَّهُ مَا دَامَتِ الْحَقِيقَةُ قَدْ اسْتَعْلَنَتْ، فَلَا مَكَانَ بَعْدَ لِلزَّمَنِ.

عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، فَإِنَّ الزَّيْنِ قَدْ قُطِعَ تَمَامًا مِنَ الْكَنِيسَةِ، بِمَعْنَى أَنَّ حُضُورَهُ فِي الْكَنِيسَةِ لَمْ يَنْفَعْ بِشَيْءٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلْ أَضَرَّ، لِأَنَّهُ لَا زَالَ يُلَوِّثُ الْجَسَدَ الْوَاحِدَ. فَإِنْ لَمْ يَطْهَرْ الْعُضْوُ الْمَرِيضُ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْرِفَ مَصْدَرَ الرَّائِحَةِ الْعَفِنَةِ، بَلْ يُنْسَبُ الْعُفُونَةُ لِلْجَسَدِ كُلِّهِ. وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الرَّسُولَ بُولُسَ يَضَعُ عَلَيْهِمْ بِشِدَّةٍ لِكَيْ يُنْقُوا الْعَجِينَ أَوْ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ، كَقَوْلِهِ: «لِكَيْ تَكُونُوا عَجِينًا جَدِيدًا كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ. لِأَنَّ فَصَحْنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لِأَجْلِنَا». (١ كورنثوس ٥: ٧). لَمْ يَقُلْ: «مَاتَ»، بَلْ عَبَّرَ بِشَيْءٍ أَقْرَبَ إِلَى الْحَالَةِ الْقَائِمَةِ، قَائِلًا: «ذُبِحَ». إِذَا لَا تَطْلُبُ مِثْلَ هَذَا الْفَطِيرِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَدَيْكَ مِثْلُ هَذَا الْحَمَلِ. لَا تَطْلُبْ ذَلِكَ الْعَجِينَ، لِأَنَّهُ وَلَا حَتَّى فَطِيرُكَ يُشَبِّهُ هَذَا الْفَطِيرَ. إِذَا فَمِنَ الْمُمَكِّنِ لِهَذَا الْعَجِينَ غَيْرِ الْمُخْتَمِرِ أَنْ يُصْبِحَ فَطِيرًا، أَمَّا إِذَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ الْخَمِيرَةُ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُصْبِحَ بَعْدَ فَطِيرًا. إِلَّا أَنَّهُ مِنَ الْمُمَكِّنِ هُنَا أَيْضًا أَنْ يَحْدُثَ

عَكْسُ ذَلِكَ، لِكِنَّهُ لَمْ يُعْلَنَ هَذَا.

وَلَا حِظٌّ مَدَى حِكْمَةِ الرَّسُولِ بُولُسَ، أَنَّهُ لَمْ يُعْطِ لِلزَّيْنِ مِنْ قَبْلِ رَجَاءِ الْعُودَةِ أَوْ الرُّجُوعِ، بَلْ حَكَمَ بِأَنْ يَقْضِيَ كُلَّ حَيَاتِهِ فِي التَّوْبَةِ، كَيْ لَا يَجْعَلَهُ مِنْ خِلَالِ وَعْدٍ مِثْلِ هَذَا، أَكْثَرَ حُمُولًا. أَيُّ لَمْ يَقُلْ: «يَجِبُ أَنْ يُسَلِّمَ هَذَا لِلشَّيْطَانِ، كَيْ يَعُودَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْكَنِيسَةِ بَعْدَمَا يَتُوبَ»، بَلْ قَالَ: «لِتَخْلُصَ الرُّوحُ فِي يَوْمِ الرَّبِّ»، أَيُّ يُحِيلُ الزَّيْنِ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ، لِكَيْ يَضَعَهُ فِي صِرَاعٍ وَجْهًا. أَمَّا النُّعْمَةُ الَّتِي كَانَ يَتَوَيَّ أَنْ يُعْلَنَهَا لِذَلِكَ الزَّيْنِ بَعْدَ التَّوْبَةِ، فَهُوَ لَمْ يَكْشِفْ عَنْهَا، مُتَمَثِّلًا فِي ذَلِكَ، بِسَيِّدِهِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ قَلِيمًا: «بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ نِينَوَى» (يونا ٣: ٤)، وَلَمْ يُضِفْ إِلَى ذَلِكَ عِبَارَةً: «إِنْ تُبْنِمْ فَتَسْتَخْلُصُونَ». هَكَذَا الرَّسُولُ بُولُسُ، لَمْ يَقُلْ: «إِنْ تَابَ بِحَقٍّ، سَنُظْهِرُ نَحْوَهُ مَحَبَّةً»، لِكِنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ أَنْ يُقَدِّمَ الزَّيْنِ عَمَلًا يَلِيْقُ بِالتَّوْبَةِ، وَحِينَئِذٍ سَيُنَالُ نِعْمَةً، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ قَدْ تَكَلَّمَ بِهَذَا مُنْذُ الْبِدَايَةِ، لَكَانَ خَوْفُ الزَّيْنِ قَدْ تَوَقَّفَ، وَلِذَلِكَ لَيْسَ فَطَطٌ لَمْ يَفْعَلْ هَذَا، بَلْ عَنْ طَرِيقِ مِثَالِ الْعَجِينَ، لَمْ يَسْمَحْ لَهُ وَلَا حَتَّى أَنْ يَتَرَجَّى الْعُودَةَ، بَلْ أَمَرَ بِتَوْقِيفِهِ حَتَّى ذَلِكَ الْيَوْمِ، قَائِلًا: «نَقُؤَا مِنْكُمْ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ»، وَأَيْضًا: «لِنُعِيدَ لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ». لَكِنْ بَعْدَمَا تَابَ، أَدْخَلَهُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْكَنِيسَةِ، وَعَلَى الْفُورِ.

وَلِمَاذَا يَدْعُوهَا عَتِيقَةً؟ إِمَّا لِأَنَّ حَيَاتَنَا فِي الْمَاضِي كَانَتْ هَكَذَا (عَتِيقَةً)، أَوْ لِأَنَّ الْعَتِيقَ عِنْدَمَا يَقْتَرِبُ مِنَ الْإِطْمِحْلَالِ، تُصْبِحُ لَهُ رَائِحَةُ كَرِبَةٍ وَيُبِيرُ النُّفُورَ، كَمَا يَحْدُثُ مَعَ الْخَطِيئَةِ. لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَّهَمَ الْعَتِيقُ بِالْبَاطِلِ بِدُونِ سَبَبٍ، وَلَا أَنْ يُمْتَدَحَ الْجَدِيدُ بِلَا سَبَبٍ أَيْضًا، بَلِ الْأَمْرُ يَعْتَمِدُ عَلَى مَا الْعَتِيقُ، وَمَا هُوَ الْجَدِيدُ، الْأَمْرُ الَّذِي يُقَالُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: «الصَّادِقُ الْحَدِيثُ خَمَزٌ جَدِيدَةٌ، إِذَا عَتَقْتَ، لَدَى لَكَ شَرْبَتُهَا» (ابن سيراخ ١٥: ٩). رُبَّمَا هُوَ يَمْتَدِّحُ الْعَتِيقَ فِي الصَّدَقَةِ، وَأَيْضًا يَقُولُ الْكِتَابُ: «وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الْأَيَّامِ» (دانيال ٩: ٧). يَتَنَاوَلُ الْعَتِيقُ هُنَا أَيْضًا كَمَدَحَ لِلْمَجْدِ الْعَظِيمِ، وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، فَإِنَّ الْكِتَابَ يُفَضِّلُ اسْتِخْدَامَ الْعَتِيقِ فِي وَضْعِ الْإِتِّهَامِ، أَيِّ حِينَ تَكُونُ الْأُمُورُ مُتَنَوِّعَةً وَمُكَوَّنَةً مِنْ عَنَاصِرٍ كَثِيرَةٍ، فَهُوَ يَسْتَخْدِمُ نَفْسَ الْكَلِمَاتِ عَنِ الصَّلَاحِ

وَعَنِ الشَّرِّ، لَكِنْ بِمَعْنَى مُخْتَلِفٍ. لَا حِظَّ كَيْفَ أَنَّهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، يُؤْتَبَرُ وَيُعْتَبَرُ الْعَتِيقُ بِاسْتِخْدَامِ بَعْضِ الْعِبَارَاتِ مِثْلُ: «شَاخُو وَخَرَجُوا مِنْ حَصُونِهِمْ» (مزمور ٤٦: ١٨ سبعية)، «عَتَقْتَ فِي سَائِرِ أَعْدَائِي» (مز ٧: ٦ سبعية). وَأَيْضًا: «أَيُّهَا الْعَتِيقُ فِي الشَّرِّ» (تثنية ١٣: ٥٢). هَكَذَا كَانَ الْعَجِينُ أَوْ الْحَمِيرَةُ، كَثِيرًا مَا يُؤْخَذُ كَرْمِزٍ لِمَلَكُوتِ اللَّهِ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ مَعْنَاهَا الدَّارِجُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَا يَحْطَى بِالتَّقْدِيرِ، عَلَى الْعَكْسِ مِنْ مَعْنَاهَا الْمُتَعَلِّقُ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ (مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ).

٥) إِنِّي أَشْعُرُ بِأَنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْحَمِيرَةِ وَالْعَجِينِ مُوجَّهٌ إِلَى الْكَهَنَةِ أَيْضًا، الَّذِينَ قَبِلُوا أَنْ يُوجَدَ دَاخِلَ الْكَنِيسَةِ الْكَثِيرُ مِنْ عَجِينٍ وَخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ، وَلَمْ يُعْزِلُوهَا تَمَامًا خَارِجَ حُدُودِهِمْ، بَعِيدًا عَنِ الْكَنِيسَةِ، أَيْ الطَّمَاعُونَ، وَالْحَاطِطُونَ أَوْ أَيْ شَرِّ مِثْلِ هَذَا، وَالَّذِي يُسْتَبَعَدُ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ. وَبِالْحَقِيقَةِ فَإِنَّ الطَّمَعَ هُوَ خَمِيرَةٌ عَتِيقَةٌ، وَحَيْثُ يَقَعُ وَيَخْتَرِقُ أَيْ بَيْتَ، فَإِنَّهُ يَجْعَلُ هَذَا الْبَيْتَ مُلَوَّنًا. فَإِنْ رَجَحْتَ قَلِيلًا وَلَكِنْ بَظْلَمٍ، فَإِنَّ هَذَا الْقَلِيلَ سَيَحْمَرُّ كُلَّ ثَرَوَتِكَ (أَي سَتَكُونُ مُلَوَّنَةً). وَلِذَلِكَ قَدْ يَحْدُثُ أَنْ يَأْتِيَ رِبْحٌ قَلِيلٌ بِطَرِيقَةٍ شَرِيَّةٍ، إِلَّا أَنَّهُ سَيَسَاهِمُ فِي فُتْدَانِ الْكَثِيرِ الَّذِي أَتَى أَوْ اكْتَسَبَ بِطَرِيقَةٍ حَسَنَةٍ. أَيْ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ مَا هُوَ أَكْثَرُ فَسَادًا وَعُفُوفَةً مِنَ الطَّمَعَ، وَإِنْ أَعْلَقْتَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ هَذِهِ النَّوْعِيَّةِ وَحَفَظْتَهُ فِي خِزَانَةٍ، وَإِنْ وَضَعْتَ أَبْوَابًا وَعَتَلَاتٍ حَدِيدٍ، فَعَبْنَا تَصْنَعُ أَيْ شَيْءًا، مَا دُمْتَ قَدْ أَعْلَقْتَ عَلَى الطَّمَعَ بِالدَّخِلِ الَّذِي هُوَ أَسْوَأُ عَدُوٍّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحُولَ كُلَّ شَيْءٍ وَيُخْرِجَهُ خَارِجًا.

مَاذَا إِذَا، سَيَقُولُ أَحَدٌ، عِنْدَمَا يَكُونُ الطَّمَاعُونَ كَثِيرِينَ، أَلَا يُعَانُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ؟ بِالتَّأَكُّيدِ سَيُعَانُونَ، وَإِنْ كَانُوا بَعْدُ لَمْ يُعَانُوا بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ وَإِنْ كَانُوا قَدْ أَفْلَتُوا الْآنَ (مِنْ الْعِقَابِ) فَيَجِبُ أَنْ تَخَافَ عَلَى أَوَّلِكَ أَكْثَرَ حِينَ يَأْتِي وَقْتُ الدَّيْنُونَةِ، لِأَنَّ عِقَابًا أَكْبَرَ يَكْتَبِرُ، وَأَشَدَّ وَطَاءَةً يَنْتَظِرُهُمْ، وَرُبَّمَا إِنْ كَانُوا هُمْ أَنْفُسُهُمْ قَدْ أَفْلَتُوا (لَمْ يَنَالُوا الْعِقَابَ)، فَإِنَّ وَرَثَتَهُمْ سَيُعَانُونَ عَلَى آيَةٍ حَالٍ مِنَ الْأَلَامِ ذَاتِهَا. وَقَدْ يَقُولُ أَحَدٌ، وَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا عَدْلًا؟ أَجَلٌ، بَلْ هُوَ عَدْلٌ تَامٌ. فَذَاكَ قَدْ وَرَثَ ثَرَوَةَ الظُّلْمِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ نَفْسُهُ لَمْ يَسْلُبْهَا مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا أَنَّهُ أَصْبَحَ يَمْتَلِكُ ثَرَوَةَ آخَرِينَ. وَهَذَا تَحْدِيدًا، هُوَ الْإِعْتِقَادُ الْعَامُّ الْمَشْتَرَكُ بَيْنَ الْجَمِيعِ، وَلِذَلِكَ فَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ يُعَانِي، أَيْ لَوْ حَدَثَ وَأَخَذْتَ أَشْيَاءَ كَانَ غَيْرُكَ قَدْ سَلَبَهَا مِنْ شَخْصٍ مَا، فَإِذَا أَتَى صَاحِبُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهَا مِنْكَ، فَهَلْ يَكْفِي أَنْ تَقُولَ دِفَاعًا عَنْ مَوْفِقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ نَفْسُكَ لَمْ تَسْلُبْ شَيْئًا مِنْهُ؟ لَا عَلَى الْإِطْلَاقِ. أَخْبِرْنِي، مَاذَا سَتَقُولُ لَهُ عِنْدَمَا يَتَّهَمُكَ، بِأَنَّهُ إِذَا كَانَ هُنَاكَ آخَرُ قَدْ نَزَعَ مُلْكَكَ، إِلَّا أَنَّكَ أَنْتَ تَمْتَلِكُهَا الْآنَ؟ ذَاكَ قَدْ سَلَبَهَا، وَلَكِنَّكَ أَنْتَ الَّذِي تَتَمَتَّعُ بِهَا.

هَذِهِ الْأُمُورُ الْمُنْخَرِفَةُ، تَعْرِفُهَا تَشْرِيعَاتُ الْأُمَمِ وَالَّتِي تُحَرَّرُ وَتُنْقَذُ الْحَاطِطِينَ، وَالَّذِينَ يَنْهَبُونَ خَفِيَّةً ثَرَوَاتِ الْآخَرِينَ، تِلْكَ التَّشْرِيعَاتُ الَّتِي تُشِيرُ عَلَى الْمَظْلُومِ بِأَنْ يَطْلُبَ مِنْ ظَالِمِهِ أَنْ يَرُدَّ لَهُ ثَرَوَتَهُ الَّتِي سَلَبَهَا مِنْهُ

وَتَكْتَفِي بِذَلِكَ فَقَط. إِذَا إِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ الْمَظْلُومِينَ، فَتُزْجَعُ إِلَيْهِمْ ثَرَوَاتِهِمْ، وَأَفْعَلْ كَمَا فَعَلَ رَجَا رَئِيسُ الْعَشَائِرِ الَّذِي أَعَادَ أَكْثَرَ مِمَّا أَحَدٌ. أَمَّا إِنْ كُنْتَ لَا تَعْرِفُهُمْ، فَأَنَا أَشِيرُ عَلَيْكَ بِطَرِيقٍ آخَرَ، لَيْسَ بَعِيدًا عَنِ الْحَلِّ. وَزَعْ كُلَّ هَذِهِ الثَّرَوَاتِ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ، وَسَتَقَلُّلُ وَتُخَفَّفُ هَكَذَا مِقْدَارَ الشَّرِّ. فَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ قَدْ وَرَثَ هَذِهِ الثَّرَوَاتِ لِإِبْنَائِهِمْ وَأَحْفَادِهِمْ، فَإِنَّهُمْ سَيُعَانُونَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ مِنْ كَوَارِثٍ أُخْرَى. وَلِمَاذَا أَذْكَرُ مَصَائِبَ الْحَيَاةِ الْحَاضِرَةِ؟ لِأَنَّهُ بِالتَّأَكُّيدِ لَنْ تَكُونَ أَمَامَهُمْ فُرْصَةً أُخْرَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ (الدَّيْنُونَةِ)، عِنْدَمَا سَتُعَرَّضُونَ مُجَرَّدِينَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، سَوَاءً مَنْ عَانَى أَوْ مَنْ نَهَبَ وَسَرَقَ. لَكِنَّ رُبَّمَا لَنْ يَكُونُوا مُجَرَّدِينَ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ. أَيْ أَنَّ الْجَمِيعَ سَيَكُونُونَ مُتَسَاوِينَ فِي التَّجَرُّدِ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَلَكِنْ كُلُّ وَاحِدٍ سَيَكُونُ مُحْمَلًا بِالْإِثْمَاتِ الَّتِي لَهَا عِلَاقَةٌ بِالْمَالِ.

إِذَا مَاذَا سَتَفْعَلُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، عِنْدَمَا يَقِفُ فِي الْوَسْطِ أَمَامَ عَرْشِ اللَّهِ الْمَخُوفِ، ذَاكَ الَّذِي عَانَى وَفَقَدَ كُلَّ مَمْلَكَاتِهِ، بَيْنَمَا أَنْتَ لَنْ يَكُونَ لَدَيْكَ مَنْ يُدَافِعُ عَنْكَ؟ مَاذَا سَتَقُولُ لِلدَّيَّانِ الْعَادِلِ؟ لِأَنَّهُ الْآنَ مِنَ الْمُمْكِنِ لَكَ أَنْ تُرْشِيَ الْمَحْكَمَةَ الْبَشَرِيَّةَ، إِلَّا أَنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تُرْشِيَ لِلْمَحْكَمَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَخُوفِ، بَلْ رُبَّمَا وَلَا الْآنَ سَيَمْكِنُكَ أَنْ تَصْنَعَ هَذَا، لِأَنَّ الْقَضَاءَ الْإِلَهِيَّ مَوْجُودٌ الْآنَ، طَالَمَا أَنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ الْأَحْدَاثِ، وَأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمَظْلُومِينَ، حَتَّى وَإِنْ لَمْ يَدْعُوهُ. بِمَعْنَى حَتَّى وَلَوْ أَنَّ مَنْ عَانَى، لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ إِمْكَانِيَّةٌ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى عَدْلٍ، لِأَنَّ مَا يَحْدُثُ لَمْ يَكُنْ حَسَبَ إِزَادَةِ اللَّهِ، فَاللَّهُ سَيَكُونُ عَوْنًا لَهُ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ. وَقَدْ يَقُولُ أَحَدٌ: كَيْفَ يَهْنَأُ فُلَانٌ، بَيْنَمَا هُوَ شَرِيرٌ؟ نَعَمْ قَدْ يَسْعُدُ، لَكِنَّ هَذَا لَنْ يَدُومَ حَتَّى النِّهَايَةِ. اِسْمَعْ مَاذَا يَقُولُ النَّبِيُّ: «لَا تَغَرَّ مِنَ الْأَشْرَارِ وَلَا تُغَايِرَ عُمَّالَ الْإِثْمِ، فَإِنَّهُمْ مِثْلُ الْعُشْبِ سَرِيعًا يَبْسُونَ» (مز ٣٦: ١-٢). إِذَا أَيْنَ هُوَ الْحَاطِطُ بَعْدَ مَوْتِهِ؟ أَيْنَ هِيَ الْمَطَامِعُ وَالْأَمْوَالُ؟ أَيْنَ هُوَ صَاحِبُ الْأَسْمِ الْمُهْمِّ؟ أَلَمْ يَفْقِدُوا كُلَّ شَيْءٍ؟ أَلَيْسَ كُلُّ هَذَا أَخْلَامًا وَظِلَالًا؟ هَذَا مَا يَجِبُ أَنْ تَتَوَقَّعَهُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ هَذِهِ النَّوْعِيَّةِ، حَيًّا كَانَ أَوْ مَيِّتًا.

لَيْسَ الْأَمْرُ هَكَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلرِّجَالِ الْفَدَّيْسِينَ، وَلَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُولَ عَنْهُمْ نَفْسَ الْكَلَامِ، أَيْ أَنْ تَقُولَ، مَا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ هُوَ ظِلَالٌ وَأَخْلَامٌ وَمُجَرَّدُ مَوْضُوعٍ لِلْحِكْمِيِّ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَنُخَضِّرُ فِي بَيْنِنَا اللَّذَانَ تَكَلَّمَا بِهَذَا الْكَلَامِ، ذَلِكَ الْخِيَامُ (أَي بُولُسَ)، وَبَطْرُسَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا، وَقَدْ يَقُولُ أَحَدٌ، وَكَيْفَ لَهُ أَنْ يُصْبِحَ مَعْرُوفًا وَلَهُ هَذِهِ الْمَكَانَةُ؟ هَلْ تُرِيدُ بِالْفِعْلِ مَعْرِفَةَ هَذَا الْأَمْرِ؟ هَلْ تَرْغَبُ بِشَكْلِ كَامِلٍ وَتُرِيدُ أَنْ تُصْبِحَ هَكَذَا، إِذَا فَلْتَتَّبِعْ نَفْسَ الطَّرِيقِ الَّذِي تَبِعَهُ، وَتَبِعَهُ تَلَامِيذُهُ، وَأَيُّ طَرِيقٍ قَدْ تَبِعَهُ؟ أَحَدُهُمَا قَالَ: «فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ... فِي بَرْدٍ وَغُرَيٍّ»، وَالْآخَرُ قَالَ: «لَيْسَ لِي فَضَّةٌ وَلَا ذَهَبٌ». هَكَذَا لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمَا شَيْئًا، وَمَعَ هَذَا كَانَا يَمْتَلِكَانِ كُلَّ شَيْءٍ.

يتبع في العدد القادم

توزع هذه المجلة مجاناً

لدعم نشاطات الجمعية تقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة، حساب رقم:

IBAN: IL480127260000000111122

كفر كنا - الشارع الرئيسي - ص. ب. ٦١٩

e-mail: light_christ@yahoo.com

http://lightchrist.org/bulletins.html

جمعية نور المسيح

المعزز المسؤول:

هشام خشيون - سكرتير جمعية نور المسيح